السبت 27 آذار 2021
العدد 4305 السنة الخامسة عشرة
Samedi 27 mars 2021 nº 4305 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

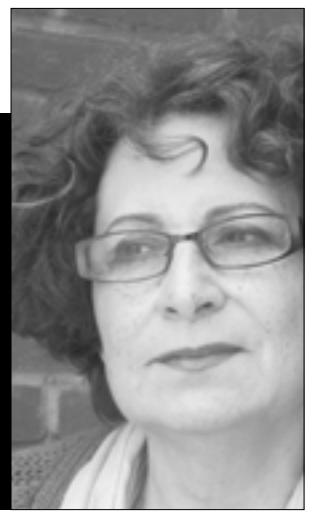

كلمات

فاطمة المحسن
سيرة في مهبّ المنفى

«كومبي ليفت» الألمانيّة: مقاوِل جمهوريّة 4 آب [3]

عون لسفيرتَي فرنسا والولايات المتحدة: لا حلّ مع الحريري [4]

أوقِفوا مهزلة إدارة اللقاحات [2]

أظهر تطوّر المواجهة البحرية، في أعقاب عملية الاستهداف الأخيرة، أن إيران لن تتردّد في منع أيّ إخلال بتوازُن الردع القائم بينها وبين كيان العدوّ (من الويب)

إيران ـ إسرائيل
انتقال «حرب الظلّ» إلى البحر

[10 ـ 11]

تقرير

انطلاق سباق التكليف:
نتنياهو يتهيّأ لمعركة شرسة

11

تقرير

زيادة الرؤوس النوويّة: بريطانيا تتقدّم الجبهة الأميركيّة ضدّ الصين

14

الحدث

صنعاء تُدشّن العام السابع:
«أرامكو» هدفاً أوّل

12

قضية اليوم

الدولة مستقيلة والمسرح للسماسرة: أوقِفوا مهزلة إدارة ملفّ اللقاح

البنك الدولي الذي يموّل شراء اللقاحات حذّر من مخاطر تشكيك لجان إضافية لإدارة عملية التلقيح (هيثم الموسوي)

إبراهيم الأمين

مشكلة اللبنانيين مع أداء الدولة في ملف اللقاحات لا تختلف عن مشكلتهم مع أدائها في إجراءات مواجهة انتشار الوباء، ولا في متابعة بقية أمور البلاد في ظل الأزمة الخانقة.

رئيس الحكومة حسان دياب يرفض تفعيل حكومة تصريف الأعمال. لا هو يريد الاستقالة النهائية ولا يريد في المقابل ترك الوزراء يعملون بطاقة أكبر، علماً بأن وزراء كثراً استغلّوا الاستقالة والجدال حول تصريف الأعمال ليتوقّفوا عن القيام بدورهم الأساسي في مواجهة الأزمة. والجميع هنا يعلم أن الصعوبات في تأليف حكومة جديدة تكبر يوماً بعد يوم.

لكن بين الخلافات السياسية وبين الواجب الوطني في مواجهة أزمة كورونا، يصبح المواطن أمام معضلة كبيرة، أساسها أن من في الحكم يتلهّون بمشكلاتهم الخاصة وحساباتهم الضيقة، من دون التوصل الى خلاصة قرارات وإجراءات تسرّع حصول لبنان على اللقاحات المطلوبة، بينما ظهرت السمسرة اللبنانية الشهيرة بأبشع صورها في الأيام القليلة الماضية.

في الإجراءات الرسمية:

لم يحصل في العالم، أن امتنع رئيس للجمهورية أو رئيس للحكومة أو وزير للصحة أو مسؤول بارز عن إجراء عشرات الاتصالات واللقاءات مع الدول المصنّعة للقاحات من أجل توفير حصة تناسب حاجات شعوبهم. أما في لبنان، الذي يحتل مرتبة متقدمة في الدول المتضررة من الوباء، فلم يبادر كبار المسؤولين عندنا سوى الى اتصالات عادية ورسائل لا تغني على الإطلاق. بل إن شركة فايزر الأميركية ـ الألمانية التي وعدت لبنان بـ 600 ألف لقاح، لم ترسل سوى 250 ألفاً، وهي تعد بأن ترسل نحو 400 ألف في الشهرين المقبلين، علماً بأنه كان يجب أن يحصل ذلك قبل نهاية آذار.

في ملف اللقاح البريطاني (استرازينيكا)، ترك الأمر لاتصالات من خلال منصّة «كوفاكس» التي تتناشتها دول العالم، فيما أوروبا لا تريد بيع لقاح خارج الاتحاد الأوروبي، بالإضافة الى مواجهة أزمة الثقة بهذا اللقاح تحديداً بعد تعليق استخدامه في عدد من دول العالم. وكان على لبنان المسارعة الى عقود مع المصانع المنتجة لـ«استرازينيكا» في كوريا والهند وروسيا من أجل الحصول على نحو مليوني جرعة، لكن حتى اللحظة لا يبدو أن ما سنحصل عليه يتجاوز 43 ألف جرعة فقط.

اللقاح الذي يُستورد من الإمارات سيُباع في بيروت بأكثر من ضعفي سعره

في الملف الصيني، تعب سفير الصين في بيروت من إظهار علامات التعجب إزاء عدم قيام السلطات اللبنانية بالتواصل اللازم، وأن الأمر اقتصر على لقاءات ورسائل لا تفيد في معالجة مهمة من هذا النوع، بينما ترك للقطاع الخاص ـ الذي تحوّل بغالبية رجاله الى سماسرة ـ العمل على الإتيان بكميات لتباع بضعفي أو ثلاثة أضعاف السعر. وبرغم أن الجيش اللبناني وافق على إدخال جنوده في المرحلة الثالثة من تجارب اللقاح الصيني («سينوفارم»)، وتولي أحد رجال الأعمال الحصول على 150 ألف لقاح لمصلحة المؤسسة العسكرية، إلا أن رجل الأعمال نفسه حجز 50 ألف جرعة لبيعها في السوق اللبنانية بسعر 22 دولاراً لكل جرعة، ومع ذلك لم يصل شيء إلى لبنان بعد.

أما بشأن اللقاح الروسي (سبوتنيك V)، فقد وقّع وزير الصحة حمد حسن أكثر من عشرين رسالة لعشرين شركة طلبت أن تذهب الى موسكو لمفاوضة الجهات المعنية هناك من أجل الحصول على اللقاح. وحتى اللحظة، لا يبدو أن النتائج قد اكتملت، علماً بأن ممثّلين لشركات قالوا إنهم عقدوا اتفاقات، لكن بسعر يصل الى 40 دولاراً لكل لقاح. وجاء إعلان رجل الأعمال جاك صراف عن صفقة مع المصدر الروسي، ليتبيّن أنها صفقة مع وكيل اللقاح الروسي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وحيث أظهرت الاتصالات أنه يبيع هناك بسعر 20 دولاراً للجرعتين، لكن صراف أعلن أنه متاح في بيروت بسعر 38 دولاراً، تضاف إليها أتعاب مراكز التلقيح والتي تراوح بين عشرين وثلاثين ألف ليرة لكل لقاح تذهب لمصلحة المستشفيات الخاصة.

والأخطر أن صراف يسعى الى منع أي شركة خاصة من الحصول على لقاحات روسية من الإمارات، بحجة أنه الوكيل الحصري، وهي وكالة غير موجودة على الإطلاق وتتعارض مع البروتوكول العالمي لتوزيع اللقاحات كما تتعارض مع القوانين اللبنانية ومع حقوق الإنسان. وينوي صرّاف إقامة احتفال استعراضي الثلاثاء المقبل في مطار بيروت الدولي، حيث سيتم تلقيح العاملين في شركة طيران الشرق الأوسط والعاملين في المطار، من دون معرفة الجدول الدقيق للكمية الإضافية من الجرعات التي يُفترض أن صراف سيبيعها في لبنان.

لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، إذ إن الخلافات حول إدارة الملف انتقلت الى مستوى جديد، مع إصرار رئيس الحكومة حسان دياب على تشكيل لجنة جديدة في وزارة الصحة، قيل إنها ستواكب عمليات التلقيح. لكن تبيّن من نص القرار الصادر عن وزير الصحة، حمد حسن، أن اللجنة مهمّتها «مواكبة الجانب العملي لمسار التلقيح في المراكز المعتمدة (...) وتقييم وتطوير مسار التطبيق ومعالجة التحديات الناشئة عن تطبيق الخطة الموضوعة» من جانب اللجنة العلمية التي يتولى رئاستها الدكتور عبد الرحمن البزري. ويصرّ دياب على أن تتولى مستشارته للشؤون الصحية بترا خوري رئاسة هذه اللجنة والتي تضم ممثلين من جهات مهنية عديدة، لكنها تعكس تمثيلاً سياسياً أيضاً (تضم اللجنة، إلى مستشارة رئيس الحكومة، 15 عضواً من ضمنهم مستشار رئيس الجمهورية للشؤون الصحية الدكتور وليد خوري). ولا بد من التذكير بأن خوري نفسها سبق أن قادت الضغوط ـ مع آخرين ـ لإصدار قرار بفتح البلاد نهاية العام الماضي، ما تسبّب في موجة الانتشار الهائل للوباء بين العشرين من كانون الأول الماضي والثاني من كانون الثاني. مع الإشارة الى أن المشكلات كانت كبيرة جداً بين بترا خوري ووزير الصحة الذي اتهمها مرة بأنها تحاول الاعتداء على صلاحياته. لكن قرار حسن بالأمس يتطلب تعديلات في عمل اللجنة العلمية، ما يثير حفيظة العاملين فيها وقد يدفعهم الى قرار بالاستقالة، بالإضافة الى ما علمته «الأخبار» من كون البنك الدولي الذي يموّل شراء اللقاحات كان قد حذّر قبل يومين جميع المسؤولين في لبنان من مغبّة تشكيل لجان إضافية لأن في ذلك ما يعقّد العملية ويثير الشكوك، ما قد يدفع البنك الدولي الى تجميد عمليات التمويل.

في هذه الأثناء، يبدو أن الرئيس دياب سيتحرك على خط التواصل المباشر مع القيادة الروسية وقد يبادر في الساعات المقبلة الى الاتصال برئيس الحكومة الروسية، واستدعاء السفير الروسي في بيروت، لأجل التعجيل بتوجيه الدعوة الى وزير الصحة اللبناني للقيام بزيارة عاجلة لروسيا. وهي الزيارة التي من شأنها توفير عقد للبنان بالحصول على مليون لقاح (مليوني جرعة) بسعر لا يتجاوز 19 دولاراً للقاح الواحد (سيُوزّع مجاناً، كما جرعات لقاح «فايزر»)، أي أقل بكثير من أسعار القطاع الخاص التي تبيّن أنها تراوح بين 40 و43 و45 دولاراً لكل من جرعتي اللقاح الروسي.

تقرير

«كومبي ليفت» الألمانيّة: مقاول جمهوريّة 4 آب

منذ انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020، ثمّة استنفار للتخلّص من كل المواد الكيميائية الخطرة المخزّنة في المرافئ العامة. وبعضها يعود الى ما قبل 70 عاماً. وبعد المستوعبات الـ 52 في مرفأ بيروت، كان الدور أمس في منشآت النفط في طرابلس والزهراني. ما هو مشترك في الحالات جميعها أن شركة «كومبي ليفت» الألمانية باتت المقاول الأول في الجمهورية ويُنصح بـ«أدميّتها». ليس ذلك فحسب، بل تعمد الشركة الى فرض شروطها وثمن اتعابها (بالدولار الطازج طبعاً)، من دون أن يعارضها أحد. وفيما الدولة أشهرت إفلاسها تتركّز العيون جميعها على قرض البنك الدولي المخصّص لدعم النقل العام في لبنان. ثقة من قرر ـ قبل أن تتسلّم الدولة القرض الذي سيتوجب عليها تسديده مع الفوائد ـ أن يقتطع منه لسدّ ثمن الفساد والإهمال...

رنى إبراهيم

لكل زمن مُتعهّد للجمهورية. في السابق، ورغم اختلاف الأحزاب السياسية، كان ثمة قطاع وتوافق حول متعهد ما ليُرقّع ويُرمّم ويُصلح كل ما يُصيبه عطل من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب، وفي مختلف المجالات من الطرقات الى النفايات الى الجسور والأنفاق. فيصبح المتعهد إياه، أو إحدى شركاته الباطنية، الخيار الأنسب والمطابق لكل مواصفات دفاتر الشروط. منذ آب 2020، أي ما بعد انفجار مرفأ بيروت، ثمة مقاول واحد مُعلن من دون أن يكون بحاجة إلى أن يتخفّى تحت أسماء فرعية، وهو شركة «كومبي ليفت» الألمانية. تسرح الشركة وتمرح في البلد متسلحة بخط عسكري يجعلها الشركة المناسبة في المكان المناسب. فمن دون أي مسار منطقي لطريقة تكليف الشركة بإزالة 52 مستوعباً من على مرفأ بيروت، تبيّن أنها تحتوي على مواد كيميائية قابلة للاشتعال، فرضت «كومبي ليفت» عقداً بقيمة 3,6 ملايين دولار على إدارة المرفأ وكلّلته بتوقيع اتفاقية مع الجيش على تسليمها هذه المستوعبات التي كانت في عهدته. بعدها بأيام، يصرح النائب شامل روكز على الهواء أن ثمة مواد خطرة في معمل الزوق الحراري ويمكنها أن تنفجر في كل كسروان. تهرع النيابة العامة التمييزية لإصدار قرار التلف ويكشف فرع المعلومات على المستودعات، لتطلب من مؤسسة كهرباء لبنان تلفها مع تشديد الفرع على أن المواد غير خطرة ومنتهية الصلاحية. على الأثر، وتحت وطأة الذعر المصطنع على الشاشات، تُكلّف شركة «كومبي ليفت» إزالة هذه المواد بعقد قيمته نحو 100 ألف يورو، نظراً الى الكمية الصغيرة الموجودة في المعمل.

من نصح باللجوء الى تلك الشركة؟ «ذكر الجيش يومها أن هناك شركة تعهدت نقل المستوعبات التي تحتوي على مواد خطرة في مرفأ بيروت ويمكن الاستعانة بها وهكذا حدث»، على ما تقول مصادر متابعة للموضوع. مرّت ستة أشهر، قبل أن يتكرر المشهد نفسه. بعمّ الذعر في البلد بعد إعلان مجلس الدفاع الأعلى عن وجود مواد نووية «عالية النقاوة» في مصفاة الزهراني وهي تشكل خطورة كبيرة. ويستتبع الخبر باخر عن مواد كيميائية خطرة مخزّنة في منشآت النفط في طرابلس والزهراني. من كشف عنها؟ «كومبي ليفت» أيضاً. لكن كيف وصلت الشركة الألمانية الى طرابلس والزهراني ومن كلّفها بهذا العمل؟ يكشف كتاب مرسل من المديرة العامة للنفط أورور فغالي الى وزير الطاقة ريمون غجر يوم أمس (حصلت «الأخبار» على نسخة عنه) أنه بناءً على تعميم رئاسة مجلس الوزراء الرقم 2020/28 تاريخ 2020/8/18 وكتاب الأمانة العامة للمجلس الأعلى للدفاع الرقم 30/أزع. مج. أد/ف م، كشفت دائرة الهندسة في الجيش اللبناني في طرابلس، ونصحت بالاستعانة بشركة «كومبي ليفت» التي ترفع المواد الخطرة من مرفأ بيروت. بناءً عليه «كشفت الشركة على المواد الكيميائية المخزنة في طرابلس والزهراني وتبيّن أن هناك وجوداً لعدة مواد كيميائية في كل منهما ومواد نووية في منشآت النفط في الزهراني تتفاوت درجة خطورتها بين متوسط الخطورة وشديد الخطورة». على الفور، أرسلت الشركة «عرضاً لنقل المواد الى خارج الأراضي اللبنانية بعد توضيبها وبلغت قيمته 6 ملايين و337 ألفاً و500 دولار أميركي».

هكذا، باتت تقارير «كومبي ليفت» مُنزلة ويتم التعامل معها كأنها صادرة عن لجنة تحقيق دولية أو لجنة مختصة. فهي التي تجري الكشف، ثم تحدد المبلغ الذي تراه مناسباً، وما على الدولة هنا إلا الانصياع لمطالبتها تحت حجة الظرف الطارئ ومنعاً لأي انفجار جديد. ثمن الإهمال الذي تستقاضاه الشركة حتى اليوم يبلغ مجموعه 10 ملايين دولار. «طازج»، مرشحة للارتفاع إذا ما تمّ الكشف عن مواد خطرة جديدة مخزنة منذ عشرات السنين في المرافق العامة، علماً بأن «كومبي ليفت» التي وضُبت 52 مستوعباً في مرفأ بيروت بعدما قام الجيش بعزلها، لم تنقل تلك المستوعبات الى خارج لبنان لأن الدولة لم تحوّل المليوني دولار (تكفلت الشركة باستدراج هبة أوروبية لتغطية نفقات إضافية)، كان التعويل هنا على قرض البنك الدولي المخصص لدعم النقل العام في لبنان بقيمة 295 مليون دولار (يختلف عن القرض المخصص لدعم الأسر الأكثر فقراً)، بحيث يتم تخصيص جزء معين من هذه الأموال للتخلص من المواد الخطرة. لكن الإجراءات الإدارية لتلقّي القرض وقوننته تحتاج الى شهرين وأكثر. لذلك، تقول مصادر

6 ملايين و337 ألفاً و500 دولار قيمة توضيب ونقل المواد الكيميائية من منشآت طرابلس والزهراني

وزارية إن «الحلّ الأنسب للتخلص من هذه المستوعبات هو أن تقوم الدولة بدفع المبلغ، ويجري العمل على فتح اعتماد في ألمانيا قد ينجز في اليومين المقبلين». لكن المواد الكيميائية في منشآت طرابلس والزهراني ستستفيد من هذا القرض حكماً للدفع للشركة الألمانية، لأن لا أموال في وزارة الطاقة سوى ما يعادل نحو 7 مليارات ليرة وهي لا تكفي لسدّ المبلغ المطلوب. وتشير المديرة العامة للنفط أورور فغالي في حديثها الى «الأخبار» إلى أن «ثمة 70 حاوية في طرابلس تعود الى زمن تأسيس المنشآت في الخمسينيات ولم يتم التخلص منها. ما حصل أننا طلبنا مساعدة الجيش لمسح المنشآت بناء على طلب رئيس الحكومة حسان دياب. وعندما تبين وجود مواد كيميائية، نصحنا الجيش باللجوء الى «كومبي ليفت» التي أعادت الكشف على الموقع وأعدّت تقريراً بشأنه، ثم تقدمت بعرض بلغ نحو 6 ملايين ونصف مليون دولار لتوضيب المواد وترحيلها». وتضيف فغالي إنها فاوضت الشركة على تقسيم المبلغ الى جزءين: جزء يدفع بالليرة اللبنانية لقاء التوضيب الذي سيتم في لبنان، وبالتالي لا حاجة إلى الدولار. وجزء آخر يدفع بالدولار لقاء النقل. إلا أن الشركة، بعد تقديمي للعرض، لم ترَ باي جواب». لكن لماذا لم يتم إجراء مناقصة لهذا الغرض؟ «المناقصة تتطلب تأمين الدولارات مسبقاً، ونحن ليس لدينا المال. لذلك ننتظر ما سيحصل في ما خص قرض البنك الدولي». في المحصلة، وبسبب الخوف من تكرار انفجار 4 آب الذي لم يحاسب أي من المسؤولين عن التسبب به حتى الآن؛ ولأن الدولة مفلسة بفعل من تعاقب على إفلاسها ولا تجد اليوم دولارات لتدفع ثمن إهمالها، يبدو أن مسار الاستفادة من قرض البنك الدولي لترقيع الفساد قد بدأ. ويبدو أن الشركة الألمانية «كومبي ليفت» ستكون المتعهد المكلّف بهذه الوظيفة.

في سياق آخر، ثمة من يتعمّد إثارة الذعر والهلع لدى الأهالي، ربما عن خوف من أي انفجار جديد أو لأن هناك بعض الأفراد المستفيدين من نشر أخبار كاذبة والمبالغة بها كي يسرّعوا إقفال الصفقة، وفقاً للطريقة المعتادة في لبنان. هذا ما حصل يوم أمس وقبله عند انتشار خبر وجود مواد نووية في الزهراني وفي محيط المطار، ليتبين بعدها أن المديرية العامة للنفط سبق لها أن أرسلت كتاباً الى الهيئة اللبنانية للطاقة الذرية بتاريخ 1 آذار وجاء الرد من الهيئة بتاريخ 3/15 بأن المواد المصنفة هي «مواد نووية تخضع لنظام الرقابة والتحقق المتعلق بمنع انتشار الأسلحة النووية وأنه يتوجب ترخيص تخزين هذه المواد، وفي حال تعذر تخزينها، فإن الهيئة على استعداد لنقلها وتخزينها في مختبراتها وإبلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية». ومنذ يومين، تم إرسال كتاب الى المجلس الوطني للبحوث العلمية يطلب من الهيئة وضع المواد في مختبراتها تحت التحكم الرقابي. أما المواد، فهي عبارة عن 4 عبوات زنة كل منها 100 غرام و3 عبوات زنة 250 غراماً وواحدة زنة 50 غراماً، مكوّنة جميعها من أملاح اليورانيوم المنضّب وهي مواد يتم استخدامها في الأبحاث العلمية. وقد شرح مدير الهيئة الوطنية للطاقة الذرية بلال نصولي أن القصد من وصفها بـ«عالية النقاوة» هو أن جودتها عالية ويمكن استثمارها في إطار البحوث وليست خطرة أو ما شابه. وفي بيان صادر عن المديرية العامة للنفط ـ منشآت النفط في طرابلس والزهراني، «تم الاتفاق اليوم (أمس) بين المديرية وهيئة الطاقة الذرية على نقل المواد بسيارة خاصة يوم الاثنين المقبل الى مركزها لتصبح بعهدتها».

تتصرف «كومبي ليفت» كأنها لجنة تحقيق دولية أو لجنة مختصة وما على الدولة إلا الانصياع لأوامرها (هيثم الموسوي)

المشهد السياسي

عون لسفيرتَي فرنسا والولايات المتحدة: لا حلّ مع الحريري

سعد الحريري يُناور ويُقدّم مواقف متناقضة للقوى السياسية المحلية والدولية. لأنّه غير مُستعجل تأليف حكومة جديدة. وفي الوقت نفسه، لن يتخلّى عن السلطة. يعرف أنّ المناخ الغربي غير جاهز بعد لحسم الملفّ اللبناني. فيُحاذر حلّ العقد الحكومية. أما رئيس الجمهورية، العماد ميشال عون، فبات يجاهر بضرورة البحث عن رئيس حكومة آخر

(مروان طحطح)

كبر الشرخ بين الرئيس ميشال عون والرئيس المُكلَّف سعد الحريري، بحيث لم يعد من الممكن الانتهاء من ملفّ تأليف الحكومة بسهولة. تبعات هذا «الترف» من الخلاف السياسي بين «الحليفين» السابقين قاسية، كونها تحصل في ظلّ أخطر أزمة اجتماعية واقتصادية ومالية ونقدية يمرّ بها لبنان في تاريخه. على الرغم من ذلك، بدأت تنتشر في الساعات الماضية معلومات عن «حلحلة» ما من جانب الحريري، وتحديداً في ما يتعلّق بعدد الوزراء في الحكومة. يُقال إنّ رئيس الحكومة المُكلَّف يقبل بزيادة العدد عن 18 وزيراً. حتى إنّ معلومات «الأخبار» تُشير إلى أنّ الحريري يرفضه الثلث المُعطِّل أو الاستجابة لأيّ من مطالب فريق رئاسة الجمهورية، ومن بينها تسمية وزير الداخلية. وقال الحريري إنّ «أقصى» ما يستطيع «تقديمه» هو التفاوض مع الرئيس ميشال عون حول اسم المرشح إلى تولّي حقيبة الداخلية. يقود ذلك إلى المزيد من التعقيدات في تأليف الحكومة، وتعميق حالة الثقة بين رئيس الجمهورية والرئيس المُكلَّف، وخاصة أنّ الأخير سمع من سفيرتَي الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا أنّ عون يعتقد بغياب أي فرصة للتوافق مع الحريري، والاتفاق معه على تأليف الحكومة، وبأنّ الحلّ يكمن في تسمية رئيس حكومة جديد.

> **قال الحريري لبرّي إنّه لم يعد متمسكاً بأن تكون الحكومة من 18 وزيرا**

متمسكاً بـ«حكومة من 18 وزيراً»، مع إصراره على رفض حصول أي فريق على الثلث المُعطِّل. ولكن يبدو أنّ الحريري «يلعب على أكثر من حبل». فكلامه أمام مرجعيات سياسية محلية ودولية، ينقضه بنفسه أمام مسؤولين سياسيين آخرين. فحتى مساء أمس، كان الحريري لا يزال يُصعّد من مواقفه أمام زوّاره، مُشدّداً على تمسّكه بحكومة من 18 وزيراً، وبرفضه الثلث المُعطِّل أو الاستجابة لأيّ من مطالب فريق رئاسة الجمهورية، ومن بينها تسمية وزير الداخلية. وقال الحريري إنّ «أقصى» ما يستطيع «تقديمه» هو التفاوض مع الرئيس ميشال عون حول اسم المرشح إلى تولّي حقيبة الداخلية. يقود ذلك إلى المزيد من التعقيدات في تأليف الحكومة، وتعميق حالة الثقة بين رئيس الجمهورية والرئيس المُكلَّف، وخاصة أنّ الأخير سمع من سفيرتَي الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا أنّ عون يعتقد بغياب أي فرصة للتوافق مع الحريري، والاتفاق معه على تأليف الحكومة، وبأنّ الحلّ يكمن في تسمية رئيس حكومة جديد.

التعقيدات الحكومية الداخلية ليست يتيمة، فمعطوفٌ عليها «اقتناعٌ» من الدبلوماسيين المؤثّرين بأنّ لا تغييرات في المشهد الحكومي في المدى المنظور. السعي الأوروبي، وتحديداً الفرنسي، والضغوط الممارسة على القوى السياسية لإنضاج التسوية، تصطدم بعدم الجهوزية الأميركية للبتّ به بعد. الملفّ اللبناني ليس أولوية على طاولة البيت الأبيض، الذي لم يُعيّن مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، خلفاً لديفيد شينكر. وتُضيف المصادر بأنّ التصريحات، ولا سيّما للسفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا، حول ضرورة تخلّي القوى السياسية عن شروطها والاتفاق على الحكومة، «لا تعدو كونها أكثر من مواقف عامة، لأنّ شيا لم تتسلّم بعد تعليمات إدارتها بما خصّ لبنان».

في المحصّلة، لم يظهر بعد الضوء في آخر النفق. إلا أنّ الأوضاع على المستويات كافة لا تحتمل الانتظار. يوجد حكومة تصريف أعمال، لكنّها ترفض أن تتحمّل مسؤولياتها حتى بما يُشرّعه لها القانون. يتذرّع رئيس الحكومة المُستقيلة حسّان دياب بأنّه لن يتخذ أي قرار لا يكون مُغطّى من مجلس النواب. فالرجل الذي يعتبر نفسه «خُدع» من قوى 8 آذار ورئاسة الجمهورية، ويُصرّح بشكل مُتكرّر بأنّ القوى التي دعمت تأليف حكومته كانت أوّل من تخلّى عنها، لم يعد «يبقّ» بالفريق الذي سمّاه، ويُطالب بـ«ضمانات» تحميه قبل الإقدام على أي خيار. كما أنّ دياب، الآتي من خارج نادي رؤساء الحكومات التقليديين، قرّر في آخر عهده أن يتمسك بحماية «البيت السنّي» له، دينياً (دار الفتوى) وسياسياً (بيت الوسط). يُحاذر اتخاذ أي قرار قد يُبعده عن «نادي رؤساء الحكومات السابقين». كما أنّه لا يُريد أن يُغضب الحريري. لذلك، يُدير دياب الأذن الطرشاء» لوزراء يُطالبون بتفعيل عمل الحكومة لواجباتها ضمن نطاق تصريف الأعمال ليست بحاجة إلى جلسة نيابية لتوضيح ذلك، وبإمكان مجلس الوزراء مناقشة مشروع الموازنة، فاستعان دياب برئيس مجلس القضاء الأعلى السابق، القاضي غالب غانم، فكان جوابه أيضاً أنّ الدستور واضح ولا حاجة إلى جلسة تشريعية لتفسيره.

على صعيد آخر، لا يزال مصرف لبنان «يتكتّم» على أيّ معلومات لها علاقة بمنصة الصرافة التي سيُطلقها. وبعدما كان البيان الصادر عن رئاسة الجمهورية الأسبوع الماضي، يُشير إلى أنّ العمل بالمنصة سيبدأ الأسبوع المنصرم، أجّل «المركزي» التطبيق إلى 16 نيسان. وتُفيد معلومات «الأخبار» بأنّ القيمة المتوقعة لضخّها في المنصّة، من مصرف لبنان والمصارف، هي مليار دولار أميركي، مصدرها الاحتياطي الإلزامي للمصارف لدى مصرف لبنان. الاتفاق المبدئي السابق مع مصرف لبنان، كان يتضمّن إمكانية أن تُعيد المصارف مليار دولار من قرابة 3 مليارات ونصف مليار دولار التي أودعتها في حساباتها لدى مصارف المراسلة في الخارج. «مصرف لبنان سيسمح للمصارف بذلك، لكنّه لن يفرضه عليها»، تقول مصادر مُتابعة. وتوضح المصادر أنّ «المركزي» سيوحي بأنّ تمويل منصة الصرافة من الاحتياطي الإلزامي لا يمسّ بالاحتياطي الإلزامي لأنّ الرقم الإجمالي لـ«الإلزامي» تدنّى أصلاً إلى حدود الـ 15 مليار دولار أميركي، بعد انخفاض قيمة الودائع». وقد خُسم أنّ المستفيدين من المنصة هم التجّار والصناعيون، «على أن يُبحث في المرحلة الثانية إمكانية فتحها أمام الأفراد، شرط أن يكونوا من زبائن المصارف، وذلك بحجة مكافحة تبييض الأموال». تمويل المنصة، الذي يؤثر على الدعم؟ تُجيب المصادر بأنّه في الأشهر الماضية كان حاكم مصرف لبنان رياض سلامة يُخيّر النواب والسياسيين بين دعم استيراد المواد المدعومة وبين منع الليرة من الانهيار، «الآن أيضاً يقول إنّ علينا أن نختار بين دعم الاستيراد وبين التدخل في السوق لوقف انهيار الليرة».

(الأخبار)

في الداخل، الأبواب موصدة. كذلك في الخارج. رئيس الجمهورية والرئيس المكلف في قطيعة جديدة اختلط فيها الشقّ السياسي بالشقّ الشخصي. ولا أحد يعرف متى تنتهي وكيف؟ أما العواصم المعوّل على دور لها لوقف الانهيار، فتكتفي ببيانات الإعراب عن القلق

في الواجهة

رباعيّة السفراء: أكثر من تشخيص وأقلّ من مبادرة

منذ الاجتماع الثامن عشر بين رئيس الجمهورية ميشال عون والرئيس المكلف سعد الحريري في 22 آذار، دخل تأليف الحكومة في سبات عميق كان لا رجعة منه، ولا خروج من كهفه. في اليومين التاليين، تلاحقت تحركات دبلوماسية أوحت بتدارك المأزق الحكومي الناشب بين الرئيسين، سرعان ما تبخّرت التوقعات والآمال سريعاً. غداة الاجتماع الثامن عشر، استقبل رئيس الجمهورية في 23 آذار السفير السعودي وليد البخاري. في اليوم التالي، التقى البخاري ونظراؤه: الأميركية دوروثي شيا والفرنسية آن غريو والكويتي عبد العال قناعي دونما التوصل الى بيان، من غير أن تنبثق عنهم أفكار جديدة. من ثم تلاحقت في الساعات التالية زيارة بعض هؤلاء للرؤساء، من غير إحداث أي صدمة. لم تفضِ الحركة الواسعة تلك سوى الى تأكيد المؤكد للسفراء، المعنية حكوماتهم بالأزمة اللبنانية. كذلك الأمر بالنسبة الى الأفرقاء اللبنانيين، الحاثرين الباحثين عن مخارج مستعصية:

1 - في لقاء السفراء الأربعة، طرحت غريو ــ أكثر المحفّزين على عقده ــ اقتراحاً يقضي بأن يتولّوا مناقشة موقف موحّد يُتفق عليه، وينبثق منهم، يُوجّه الى حكوماتهم كي تتبنّاه. رحّبت شيا وقناعي به، وتحفّظ عنه البخاري مسجلاً ملاحظة مفادها أنه يشاطرهم تشخيصهم المشكلة اللبنانية، والحاجة الى حكومة في أسرع وقت تخرج البلاد من مأزقها، وتباشر إصلاحات بنيوية فوراً، بيد أنه لا يوافقهم الرأي على اتخاذ موقف موحّد خشية تحوّله الى مبادرة في ذاتها ملزمة لدولته، في وقت لا تبدو فيه الرياض مستعدة للانضمام الى أي مبادرة حيال لبنان في الوقت الحاضر، ولا يعدو اهتمامها بالشأن اللبناني سوى إسداء النصح وتأكيد المواقف المعلنة سابقاً. أفضى ذلك الى خروج اجتماع السفراء بلا نتائج ملموسة سوى إسهابهم في المناقشة، واتفاقهم على الإدلاء بمواقف منسجمة في ما بينهم حيال القواسم المشتركة التي يقاربون بها الوضع اللبناني.

2 - نُظر الى اجتماع السفراء الأربعة على أنه أقرب الى مرجعية رباعية محدثة، معنية بالشأن اللبناني في محطته الحالية، الموشكة على الانهيار الشامل. لم تعد الفروق في ما بينهم، في مقاربة ما يجري، ذات مغزى بعدما تقاربت وجهات نظرهم الى حد بعيد. يلتقي السعوديون والأميركيون على ضرورة تأليف حكومة لا وجود فيها مباشراً أو غير مباشر لحزب الله، بينما يجري الفرنسيون مراجعة جدية لتعويلهم على الحزب منذ لمسوا أنه لم يترجم تعاونه مع المبادرة الفرنسية تبعاً لما وعد به، على نحو يزيل من طريقها العراقيل. مع ذلك، لم تصل المراجعة الفرنسية الى حد التطابق مع الموقفين السعودي والأميركي، وهذان بدورهما غير متطابقين، تميّز ما بينهما فروق ضئيلة مرتبطة بالتشدد حيال وجود حزب الله في الحكومة الجديدة. لم يصل تذمّر الفرنسيين من الحزب الى حد استبعاده تماماً عن أي دور في الحكومة الجديدة، من غير أن يتمثل بها مباشرة ما دامت ستكون من مستقلين، إلا أن دعمه إياها عامل مهم لهذا بفاعلية العمل والقرارات.

3 - ليست مصادفة أن ينتهي اجتماع البخاري وشيا برئيس الجمهورية بتلاوتهما بياناً مكتوباً أُعدّ سلفاً، وحاز موافقة وزارتَي خارجية البلدين، كي تُوجّه الرسالة وتُقرأ بوضوح وسهولة. كلاهما أبرزا عدم وجود أي استعداد للرياض وواشنطن للتدخل في الشأن اللبناني، بل الاكتفاء بممارسة ضغوط عبر تكرار المواقف المعلنة من المواصفات التي يطالبانها في الحكومة الجديدة. يتلاقى ذلك مع معلومات واردة من واشنطن، تتحدث عن اجتماع عقد الأسبوع الماضي لخلية لبنان في وزارة الخارجية الأميركية، هو الأول من نوعه في ظل إدارة الرئيس جو بايدن، لدرس الموقف الواجب اتخاذه من الوضع اللبناني. وبحسب المعلومات تلك، فإنّ الخلية تحتاج الى شهر حداً أدنى كي يتبلور تصور لها. حتى ذلك الوقت، أنيط بالسفيرة في بيروت متابعة هذا الملف تبعاً للمعطيات المتوافرة لديها وتعليمات الإدارة.

على أن الأهم في ما ضمره موقفا الرياض وواشنطن، أنهما يحددان موقفيهما من الحكومة الجديدة بعد تأليفها، ومدى التزامها مواصفات المبادرة الفرنسية، يضاف إليها شرطا هذين البلدين، وهو خلوّها من أي تأثير لحزب الله كلياً أو جزئياً في صفوفها.

> **طرحت غريو اقتراحاً بتصوّر مشترك تحفّظ عنه البخاري**

لعل الأبلغ في ما أتى البخاري على ذكره في بيانه المكتوب، التذكير ـ من أمام باب رئاسة الجمهورية ـ بالقرارين 1559 و1701 المعني بهما حزب الله مباشرة، والأكثر إيذاء له، ما أفصح مداورة عن أن وجهتَي نظر رئيس الجمهورية والسفير السعودي على طرفي نقيض. في المقابل، موقف باريس أكثر مرونة، وإن بدت أكثر صرامة في تأنيب المسؤولين والقيادات اللبنانية، والتشهير بسمعتهم وفسادهم، والتلويح بعقوبات عليهم. واقع الأمر، لم يتبقّ من المبادرة الفرنسية التي أطلقها الرئيس إيمانويل ماكرون من قصر الصنوبر في الأول من أيلول سوى عنوانين فقط، هما حكومة جديدة والولوج الى الإصلاحات. ما بات عليه مسار التأليف، وضع المبادرة في مقلب آخر تماماً: لم تُسمّ الحريري، غير الاختصاصي وغير المستقل، رئيساً للحكومة بل تحدثت عن مواصفات عثرت عليها في السفير مصطفى أديب، فرشحته ودعمته، قبل أن يسقطه الحريري والرؤساء السابقون للحكومة. تحدثت عن حكومة مستقلين غير حزبيين، فإذا لائحة الحريري توزّر مَن سمّتهم كتل وأحزاب سنّية وشيعية ودرزية، فيما كان الفرنسيون قد رشّحوا بأنفسهم في مطلع المبادرة وزراء يعرفونهم كي يحلّوا فيها من ضمن المواصفات التي طرحوها. ما لبث أن بدّدها الكلام عن حكومة اختصاصيين على صورة حكومة الرئيس حسان دياب.

4 - ليس البيان الذي أدلى به السفير السعودي في قصر بعبدا سوى نسخة متطابقة عمّا كان قد صرّح به بعد مقابلته البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي في 19 شباط الفائت، بتأكيده ضرورة تطبيق اتفاق الطائف المؤتمَن على الوحدة الوطنية والسلم الأهلي. وهي إشارة إضافية الى عدم الرغبة في التدخّل في الشأن اللبناني، كما في تأليف الحكومة، سواء ترأسها الحريري أو سواه. لذا لم يبصر البعض زيارة البخاري لرئيس الجمهورية على أنها رسالة سلبية الى الرئيس المكلف، رغم انقطاع التواصل المباشر بينهما واستثنائه من الزيارات السياسية التي يقوم بها السفير. ما سمعه منه الراعي في اجتماع 19 شباط، أن المملكة جاهزة لكل مساعدة فور تأكدها من أن الحكومة الجديدة ــ عندما تتألف ــ يمكن الركون إليها والثقة بمواصفاتها، مختلفة تماماً عن كل الحكومات التي سبقتها.

(هيثم الموسوي)

تقرير

هل تنجح منشآت النفط في مواجهة مافيا المازوت؟

إيلي الفرزلي

واحدة من المعضلات التي تواجه ضبط سوق المازوت هي مسألة بيع شركات التوزيع حصصها في منشآت النفط. على سبيل المثال، إذا كان يحق لشركة ما أن تشتري 100 ألف ليتر من المازوت، فهي تعمد إلى نقل هذه الحصة إلى مشتر آخر بأسعار تفوق سعر السوق، ما يجعلها تحقق أرباحاً فورية وكبيرة. ولذلك، تعمد إدارة المنشآت كل فترة إلى تشديد إجراءات توزيع الحصص أو تعديل هذه الكميات، وصولاً إلى توقيف موزّعين ومنعهم من التعامل مع المنشآت.

لمعرفة كيف تتم عملية بيع البونات، لا بد من العودة إلى الأصل. يحقّ لأي شركة توزيع محروقات أن تقدم طلباً لشراء حصة من المازوت أو البنزين من منشآت النفط في طرابلس والزهراني إذا كانت تستوفي الشروط المطلوبة، كأن تكون شركة عاملة في تجارة المحروقات وتمتلك صهريجاً على الأقل أو تملك أو تستثمر محطة محروقات. كذلك، يُفترض بها أن تقدّم إفادات من الزبائن لتبرير الحصة اليومية، وتقديم كفالة مصرفية بقيمة سحوبات الحصص تغطي أسبوعين (10 في المئة بالدولار). بالنتيجة، فإن نحو 250 شركة توزيع تتعامل حالياً مع المنشآت وتحصل على كميات متفاوتة من المحروقات (ما بين خمسة آلاف و500 ألف ليتر يومياً)، تبعاً لما تقدّمه من إفادات عن حاجتها. في التعميم الصادر عن المديرية العامة للنفط أورور فغالي، في 2 أيلول 2020، ولضمان عدم تخزين وتهريب المحروقات، منعت كل الشركات من تخزين أي نوع من المشتقات في خزانات تفوق قدرتها الاستيعابية 10 آلاف ليتر ما لم تحصل على ترخيص بذلك، كما منعت الاتجار أو بيع أو التنازل عن البونات (الحصة اليومية) الممنوحة للموزّع لمصلحة أشخاص أو شركات أخرى، إضافة إلى منعها البيع خارج السعر الرسمي.

عملياً، كان واضحاً بالنسبة إلى إدارة المنشآت أن بيع البونات لا يعني سوى أمر واحد: من يشتري إما يبيع في السوق السوداء أو يهرّب البضاعة إلى خارج لبنان. وإلا لما كان دفع ثمن بضاعة لم تخرج من المنشآت ولم يضف إليها كلفة النقل وربح المحطة بسعر أعلى من السعر الرسمي. على سبيل المثال، بالرغم من أن سعر المبيع للأفراد يبلغ اليوم 27 ألفاً و500 ليرة حالياً، فإن عاملين في القطاع يجزمون بأن شركات التوزيع تبيع الصفيحة للسماسرة بـ 33 ألف ليرة قبل التحميل.

أخيراً، واستكمالاً لمساعي ضبط السوق، أبلغت إدارة المنشآت الموزعين أنها «علمت بلائحة أسماء موزّعين وأشخاص يقومون ببيع حصصهم في المنشآت إلى أطراف تقوم بطريقة غير قانونية بعملية مضاربة وشراء وبيع حصص، ما يؤدي إلى خلق سوق سوداء في أسعار المحروقات». وقد أشارت إلى أنه «يجري حالياً التحقيق في هذه التجاوزات لاتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم لإحالتهم إلى القضاء المختص، تحت طائلة مصادرة كفالاتهم لدى المنشآت وإقصائهم عن سحب أي نوع من المحروقات حتى من الشركات الخاصة».

وبالفعل، تشير المعلومات إلى أن المديرة العامة للنفط استدعت ممثّلي شركتَي توزيع، ووجّهت لهما إنذاراً بسحب الكميات المخصصة لهما، بعدما وصلتها تقارير تفيد بأنهما، إضافة إلى شركتين أخريين على علاقة بهما تبيعان حصصهما في المنشآت. كما هددت بمصادرة كفالاتهما.

تلك خطوة سبق أن خبرتها شركة OJM للمحروقات لصاحبها جمال عثمان التي أوقفت عن العمل لأسبوعين، بعدما ورد إلى المنشآت تقرير من المجلس الأعلى للدفاع يثبت أن جزءاً من حصة الشركة يهرّب إلى سوريا عبر عكار. حتى بعدما سمح للشركة بالعودة إلى شراء المحروقات، تم فرض شروط رادعة عليها، فخُفّضت الكميات التي تحصل عليها من مليون و200 ألف ليتر يومياً إلى 450 ألف ليتر، كما طلب منها تقديم تعهّد بعدم البيع إلى سوريا، وكذلك تقديم إفادات من الجهات التي تبيعها المازوت تثبت حصولها على الكميات المطلوبة.

> **موزّعون يبيعون حصصهم في المنشآت لتجار السوق السوداء**

تخفيض الكميات لم يرق الشركة، التي لا يبارح ممثلوها مكاتب المنشآت طالبين زيادة الكوتا المخصصة لها، بحجة حاجة زبائنها من وزارات ومؤسسات عامة إلى المازوت. وبالتوازي، ولأنه ليس خافياً على أحد حجم النفوذ السياسي في مافيا المحروقات، كلما طالت الإجراءات العقابية شركة ما، قامت الدنيا ولم تقعد. وزراء ونواب وفاعليات يتواصلون مع إدارة المنشآت للتوسط لهذه الشركة أو تلك. وزير الطاقة نفسه لا يهدأ هاتفه عندما يُوجّه إنذار لأي من الشركات.

لكن لأن العاملين في السوق السوداء مافيا لا تقلّ شأناً، فهم سرعان ما يتأقلمون مع أي إجراء يعيق عملهم. على سبيل المثال، بعدما أوقفت شركة عثمان سرعان ما أمّن هؤلاء حاجتهم من شركات أخرى. الفارق أنه بدلاً من شراء الكميات المطلوبة من شركة كبيرة، صار المطلوب جهداً أكبر للشراء من شركات صغيرة، وهو ما ولّد سماسرة لا دور لهم سوى شراء البونات لبيعها إلى المهرّبين. اللافت أن بعض البلديات صارت جزءاً من هذه التجارة غير المشروعة. فالمعلومات تؤكد أن بعض الشركات تتواطأ مع بلديات تقوم بالتوقيع على محاضر تسلّم كميات لم تذهب فعلياً إليها. ولذلك، تتّجه إدارة المنشآت بدءاً من الأسبوع المقبل إلى الطلب من المحافظين مراقبة الكميات التي تصل إلى البلديات، على أن يوقّعوا على البيانات التي تثبت بيع الموزعين المازوت إلى هذه الجهات وإلى أصحاب المولدات الموجودة في نطاقها (سبق لوزير الطاقة أن أصدر تعميماً حدد بموجبه الكميات المسموح لأصحاب المولدات بتخزينها تبعاً لطاقة كل مولّد). تلك كلها إجراءات قد تحدّ من حجم السوق السوداء، لكنها لا تعوّض دور وزارة الاقتصاد المكلفة بمراقبة السوق لمقارنة الكميات التي تخرج من منشآت شركات النفط بالكميات التي تباع في المحطات ومن قبل شركات التوزيع.

(هيثم الموسوي)

قضية

الأرقام المعلنة عن أعداد المعلمين في القطاع الخاص المصروفين في العام الدراسي الماضي مضلّلة. عيّنة المدارس التي مسحتها نقابة المعلمين تمثل ربع عدد المدارس، في حين ان آلاف المعلمين يتقاضون رواتب في «المناسبات» وعلى دفعات غير متزامنة

أزمة التعليم الخاصّ

آلاف المعلّمين المصروفين ونزوح إلى «الرسمي» فاق التوقّعات

تتسرّ الجهات الرسمية على الارقام الحقيقية او تتأخر في إعلانها بحجّة الأزمة الصحية (مروان طحطح)

نعمه نعمه *

أعلن رئيس نقابة المعلمين في المدارس الخاصة رودولف عبود، أخيراً، أن عدد المعلمين المصروفين في العام الدراسي 2019 - 2020 لم يتجاوز الـ 3000 من أصل 58 ألفاً، مناقضاً بذلك ما ذكره سابقاً، في مقابلة تلفزيونية، بأن النقابة أجرت مسحاً لـ 360 مدرسة خاصة (من أصل 1600 مدرسة)، تبيّن بنتيجته وقف عقود 1400 معلّم، 300 منهم صُرفوا فيما أُجبر الباقون على الاستقالة.

> اضطر الجيش إلى قطع الطريق ومطاردة رماة الحجارة على السيارات داخل شوارع السعديات

قراءة أولية لأرقام النقيب تُظهر أن عيّنة المدارس التي مسحتها النقابة تمثّل أقلّ من ربع المدارس الخاصة، ما يعني، بالنسبة والتناسب، أن نحو 6 آلاف معلّم انتهت عقودهم في 1600 مدرسة، وأن عدداً لا بأس به منهم تحوّلت عقودهم من الملاك إلى التعاقد بالساعة.

وفي مقابلة أخرى، أشار عبود إلى أن 70% من المعلمين لا يتقاضون رواتبهم كاملة، وأن إدارات المدارس تحسم من رواتبهم نسباً تتجاوز أحياناً 50% من دون الدرجات المقرّرة في قانون سلسلة الرتب والرواتب. ومعلوم، وفق القوانين الدولية واللبنانية، أن خفض الراتب من دون موافقة الأجير هو نوع من أنواع الصرف التعسفي. ويعود خفض رواتب 70% من المعلمين إلى سببين: الأول خفض عدد ساعات التدريس، والثاني إشراك المعلمين عنوةً في دفع الفاتورة التشغيلية للمدرسة، أي التدبير الذي لجأ إليه أكثر من 70% من المدارس خلال العام الدراسي المقبل. واقتصر الأمر على سدّ بعض الثغر ونكران الوقائع «المناسباتية»، وعلى دفعات غير متزامنة. كما يبدو واضحاً للأهل أن غالبية المواد الإجرائية، كالفنون والرياضة والتكنولوجيا والمواد العملية الأخرى، أُلغيت بمعظمها من المنهاج والتدريس عن بعد وتوقفت حصصها، وبالتالي توقّف معلموها عن العمل.

يسعى النقيب إلى التقليل من حجم الكارثة بالتأكيد أن عدد المصروفين من التعليم الخاص أقل بكثير من رقم الـ 10 آلاف الذي جرى احتسابه سابقاً في دراسة تحليلية (راجع «الأخبار»، «كورونا يزيد النزوح الى التعليم الرسمي: هل من خطة للعام المقبل؟»، 25 نيسان 2020)(https://al-akhbar.com/Community/287668)، فيما هو في الواقع يزيد عنه. وتكمن المشكلة الأساسية في غياب الأرقام وفي التسرّ على الأرقام الحقيقية، أو التأخر في إعلانها نتيجة الأزمة الصحية. فالنشرة الإحصائية للمركز التربوي للبحوث والإنماء تأخّرت شهرين عن موعد صدورها، لذا لا نعرف العدد الفعلي للتلامذة المسجّلين في المدارس الرسمية والخاصة، ولا حجم النزوح الحقيقي ولا العدد الفعلي للمعلمين المسجّلين في المدارس كافةً، ولا حجم الصرف أو الإقالات القسرية.

الدراسة أظهرت أن نحو 150 ألف تلميذ سينزحون من القطاع الخاص إلى القطاع الرسمي، وتحدثت عن تأثيرات أخرى على صندوق التعويضات والقدرة الاستيعابية للمدارس الرسمية بسبب الأزمة الاقتصادية وجائحة كورونا.

لكنّ الجهات الرسمية والنقابية والمؤسسات التربوية ومعظم الأهالي والمؤسسات الأممية والدولية تعاطوا مع الموضوع بدفن الرؤوس في الرمال، وباعتماد «التسكيج»، من دون اتخاذ أي تدبير استباقي لما سيؤول إليه العام الدراسي المقبل. واقتصر الأمر على سدّ بعض الثغر ونكران الوقائع وتغييب السياسات وعجز المؤسسات وفشل الوزارة وتجزئة المشكلة.

المدارس الخاصة اعتمدت هي الأخرى سياسة التقليل من حدة الأزمة، وبالتالي تأجيل انفجارها شعبياً، وساعدت في ذلك الدول المانحة (فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا) بالاتفاق مع وزارة التربية والنقابات والمؤسسات التربوية والسياسيين، فارجات الأزمة ووزّعت نتائجها على قطاعات مختلفة، المعلمين المتعاقدين في الرسمي، حيث تقلّصت ساعات التدريس بشكل كبير، ووزعت تكلفة الإنترنت على المعلمين، كما قدمت الدول المانحة والمؤسسات الدولية مساعدات مالية مباشرة للمدارس والتلامذة لإبقائهم في المدارس. اللاعب غير المحتسب في هذه المعادلة كان الهجرة، ولا سيما عائلات شابّة بأكملها وصلت أعدادها إلى عشرات الآلاف، ما سيغيّر أرقام المسجّلين في المدارس ولا سيما الخاصة بشكل دراماتيكي، وبالتالي من المتوقّع في العام المقبل أن ينخفض عدد المسجّلين في التعليم الخاص ويزيد عدد المعلمين المصروفين، وانفجار الأزمة المؤجّلة بشكل أعنف نتيجة تراكم الأزمات على المستويين المالي والاقتصادي. وبطبيعة الحال، سيتبع ذلك سحب أموال التعويضات من الصندوق مع انعدام فرص العمل والدخل للقطاعين الخاص والمتعاقدين في الرسمي. فالأزمة الصحية على ما يبدو باقية حتى منتصف العام الدراسي المقبل 2022/2021 والتدابير الاستباقية عبارة عن دفن الرأس في الرمال وإخفاء الأرقام واللعب على الكلام والوعود.

*باحث في التربية والفنون

تقرير

لا عقاب لمدير يشهر السلاح في ثانويّته!

فاتن الحاج

تستنفر مديرية التعليم الثانوي كل الأجهزة الرقابية لاستجواب الأساتذة الممتنعين عن إسداء التدريس عن بعد لأسباب تتعلق ربما بغياب الجاهزية من إنترنت وكهرباء، لكنها لا تحرّك ساكناً في ارتكابات اقترفها مديرون وأثبتتها تحقيقات التفتيش التربوي.

هذا ما حصل مع مدير ثانوية رياق الرسمية الذي شهر، قبل أسبوعين، مسدساً في وجه الناظر العام، في حرم الثانوية، مكيلاً له الشتائم، ولا يزال «مؤتمناً» على إدارة مؤسسة رسمية ويمارس عمله، من دون اتخاذ أي إجراء إداري أو قانوني بحقه.

وتجري، بحسب مصادر مطلعة، لفلفة القضية بضغط من أحد الأحزاب الذي ينتمي إليه المعتدي والمعتدى عليه، لإبقاء الأول في مكانه والضغط على الثاني للتنازل عن شكوى رفعها إلى مديرية التعليم الثانوي، كما طُلب من المديرية تحميل الطرفين المسؤولية، وإبلاغ الوزير بأن مصالحة حصلت بينهما وطي الملف.

كيف يمكن أن يحصل ذلك وبين يدي المجذوب مراسلة من التفتيش تفيد بأن المدير نفسه قام بعمليات اختلاس لأموال مجلس الأهل وزوّر علامات بعض الطلاب مقابل أموال وخدمات، إضافة إلى عدم انضباطه الوظيفي لجهة التغيّب وسوء الإدارة والأسلوب الاستعلائي ومشاكله مع الهيئتين التدريسية والإدارية والمحيط السكاني، فضلاً عن إعطائه زوجته 4 ساعات تدريس من أصل النصاب القانوني الذي يشمل 20 ساعة. وكان ينتظر أن يأخذ الوزير بقرار التفتيش إعفاءه من الإدارة لحين انتهاء التحقيقات.

إذا كان تقاعس الوزارة سابقاً قد دفع المدير إلى الاحتكام إلى السلاح، فمن يمنع مديرين في ثانويات أخرى من تكرار ذلك، خصوصاً أن هناك ملفات فساد عدة على طاولة الوزير في انتظار قراره، من=منها مراسلات مجمدة بين وزارة التربية والتفتيش التربوي حول مخالفات ارتكبها مديرو مدارس وثانويات رسمية وتوصيات بأتّخاذ عقوبات بحقهم، ولم تنفذ، ومن بينها ثانوية بريتال ومدرسة العين في البقاع الشمالي؟ السؤال برسم الوزير والمدير العام للتربية فادي يرق ومديرة التعليم الثانوي جمال بغدادي.

تقرير

الجوع يطرق أبواب سجن رومية

رضوان مرتضى

يشكو نزلاء سجن رومية المركزي من قرار إدارة السجن بمنع الأهالي من إدخال الطعام لأبنائهم. بات «رومية» السجن الوحيد في لبنان الذي يُحرَم سجناؤه من هذا الحق. ويضع هذا القرار السجين أمام خيارين: الأول تحمّل رداءة طعام السجن المعروف بـ«الأروانة»، والذي وإن رضي السجناء بتحمله، فإنّ الكمية التي تُقدَّم منه ضئيلة؛ أو الوقوع تحت رحمة أسعار حانوت السجن المركزي التي تفوق الأسعار الموجودة في معظم السوبرماركات في لبنان. فضلاً عن أن أسعار السلع بين اليوم والآخر تختلف بشكل كبير. يقول سجناء لـ«الأخبار» إنّ إدارة السجن خفّضت كميات الطعام التي كانت توزّع قبل الأزمة، مشيرين إلى أنّ الكمية التي توزع اليوم تعادل رُبع الكمية التي كانت توزّع قبل الأزمة الاقتصادية. إذ توزّع ثلاث علب من الجبن لجناح يُسجن فيه 70 شخصاً. أما بالنسبة إلى الأسعار، فقد زوّد السجناء «الأخبار» بنسخ عن الفواتير التي يشترون بها حاجياتهم، فتبيّن أنّ كرتونة البيض داخل حانوت سجن رومية المركزي أغلى بعشرة آلاف ليرة لبنانية عن الخارج. فضلاً عن بيع حانوت السجن مواد غذائية تنتهي صلاحيتها خلال أسبوع.

قرار منع الأهالي من إدخال الطعام لأبنائهم السجناء اتّخذته إدارة السجن المركزي بذريعة وقف تهريب الأهالي لأبنائهم أغراضاً ممنوعة، وهو ما كان يحصل سابقاً على الرغم من التفتيش الذي تتولّاه القوى الأمنية. وقد اتّصل عدد من السجناء بـ«الأخبار» لتقديم اقتراحات لإدارة السجن للتخفيف من أوجاعهم جراء الوضع المزري الذي يعيشونه نتيجة الغلاء الكبير في أسعار السلع في حانوت السجن، بالتزامن مع اشتداد خناق الأزمة الاقتصادية على أهالي الموقوفين والمحكومين (لا بد من الإشارة إلى أن الغالبية الساحقة من السجناء تنتمي إلى الطبقة الأكثر فقراً). وفي الرسالة التي حمّلها السجناء لـ«الأخبار»، طلبوا من الجمعيات الخيرية والإنسانية ونقابتَي المحامين، المساعدة في شتى السبل الممكنة، ثم توجهوا إلى دار الفتوى على وجه الخصوص، مناشدين مفتي الجمهورية والمشايخ المسارعة بالالتفات إلى أوضاع السجناء التي تتفاقم. واقترحوا «تنظيم حملة تبرّعات عينية ونقدية» لمساعدتهم في شراء الاحتياجات الأساسية لمواجهة الجوع، ولا سيما تلك التي تعجز الحكومة عن تلبيتها على أبواب شهر رمضان. كذلك تحدث السجناء عن أنّ بعض المستشفيات رفضت استقبال سجناء نتيجة عدم دفع المستحقات من قبل الدولة اللبنانية، كاشفين أنّ قسماً من التغطية التي كانت توفّرها الدولة، بات اليوم السجين مطالباً بتأمينها. كما تحدثوا عن انقطاع أنواع من الدواء في صيدلية السجن.

> ناشد السجناء دار الفتوى ونقابتَي المحامين والجمعيّات تنظيم حملة تبرّعات لمساعدتهم على مواجهة الجوع

تقرير

انتخابات الأطباء في أيار هل تعالج فوضى الحسابات المالية؟

هديل فرفور

حتى الآن، يبدو أن نقابة الأطباء في بيروت ماضية في قرارها القاضي بإجراء الانتخابات في موعدها المُحدّد في أيار المقبل. وذلك بعد أن دعا النقيب شرف أبو شرف مجلس النقابة إلى جمعية عمومية عادية من أجل انتخاب ثمانية أعضاء للمجلس وعضوين للمجلس التأديبي ومراقب عام لصندوق التقاعد ومُساعدين له، على أن تُنظّم الدورة الأولى في الثامن من أيار في مقرّ بيت الطبيب ويكون الثالث والعشرون من الشهر نفسه موعداً للدورة الثانية يكون فيها النصاب قانونياً بمن حضر.

قرار إجراء الانتخابات وما يرافقها من تجمعات للأطباء الذين عليهم الحضور شخصياً للاقتراع في ظلّ واقع وبائي حرج تعاني منه البلاد نتيجة المسار التصاعدي لانتشار فيروس كورونا، استند إلى تقديرات تُشير إلى أنّ جميع الأطباء المُسجّلين سيكونون قد تلقّوا اللقاح المضادّ للفيروس قبل موعد الاقتراع.

إلّا أن «الأزمة» الفعلية التي سترافق عملية الانتخاب تكمن في مكان «اخطر» بكثير، وهو في قطع الحساب وبراءات الذمة التي لم تُجرَ منذ ست سنوات. قانوناً، على الجمعية العمومية التي تنعقد في يوم إجراء الانتخابات، أن تُصادق على الحسابات المالية للنقابة، فيما من المعلوم أن النقابة توقفت منذ عام 2015 عن تصديق براءات الذمة وتنظيم قطع الحساب بسبب «الفوضى المالية» المستفحلة، على ما خلص سابقاً تقرير محمد كلش، المُستشار المالي لوزير الصحة السابق جميل جبق (https://al-akhbar.com/Community/271238).

عضو مجلس النقابة مروان الزعبي قال في اتصال مع «الأخبار» إنّ النقابة باتت أمام خيارات صعبة جداً، «فالكلفة المالية المترتبة عن إجراء تدقيق مالي علمي ودقيق تتراوح بين الـ300 والـ400 ألف دولار وهي كلفة لا قدرة للنقابة على دفعها حالياً، فيما خيار المضي بتجاهل الفوضى المالية الحاصلة سيرتب المزيد من الخسائر وسيُفاقم الفوضى». وإذ يلفت الزعبي إلى اقتراح خيار «اللوذ» بالنيابة العامة المالية «التي يمكنها تكليف الجهات المختصة لإجراء التحقيقات اللازمة»، يطرح تساؤلات بشأن إمكانية تنفيذ الاقتراح وعمّا إذا كان المجلس يملك الجرأة الكافية للمُضي في قرار المحاسبة واتخاذ الإجراءات الصارمة بحق المتورطين.

من هنا، يبدو خيار المُضي في نهج «شطب» الحسابات المتراكمة واعتماد مبدأ «الصفحة الجديدة» هو الأقرب إلى التنفيذ، في ظلّ عبء مالي ترزح تحته النقابة في الوقت الراهن، يمنعها من اللجوء إلى شركة خاصة للقيام بالحسابات المالية، وما لجوء النقابة إلى تنفيذ مشروع المكالمات المدفوعة من قبل المرضى الراغبين بالتواصل مع أطباء النقابة إلا دليل على حجم المأزق المالي، على ما رأت مصادر معنية بالملفّ في النقابة، مُستبعدةً خيار الاستعانة بالنيابة العامة المالية نظراً لـ«تشعب الجهات المتورطة».

والجدير ذكره أنّ تقرير كلش كان قد خلُص إلى غياب أسس المحاسبة السليمة وعجز في إصدار بيانات مالية صحيحة فضلاً عن وجود عمليات «تلف» للمعلومات في برامج المحاسبة تستدعي التدقيق. وعليه، فإنّ أي تجاهل لهذا الواقع وتغييب مناقشته على جدول أعمال المجلس في دورته الجديدة يعني تشريع تأزيم الوضع المالي الذي سيكون من مسؤولية أعضاء المجلس الجدد المنتخبين. فهل يأخذ الأطباء هذا الملفّ في الحسبان عند إقبالهم على الاقتراع؟

> مصادر في النقابة استبعدت خيار الاستعانة بالنيابة العامة المالية نظراً لتشعب الجهات المتورطة

وجهة نظر

طلاب المدرسة الرسميّة مواطنون فئة ثانية

ماجد جابر *

لم يشهد التعليم الرسمي تحديات كما اليوم. إذ لم يكد يستعيد ثقة اللبنانيين به في السنوات الأخيرة، بعد إهمال لعقود قوّضت خلالها السلطة السياسية فعّاليته عبر المحسوبيات والتنفيعات، حتى ألّمت به أزمات جديدة تفوق إمكاناته الضعيفة، بدءاً من وباء «كورونا»، مروراً بضعف الموازنة المرصودة له، ومعاناة صناديق المدارس من شحّ وعجز كبيرين، وعدم قدرتها على تأمين المستلزمات اللازمة لتسيير عمل المدرسة وسط ارتفاع سعر الدولار. يأتي ذلك في ظل أزمات إضافية تتمثّل في تضخم أعداد المتعاقدين، وعدم تأهيل الكادرَين الإداري والتعليمي، وأزمات معيشية تلاحق المعلمين الذين خسرت رواتبهم أكثر من 80% من قيمتها وجعلتهم في عداد الفقراء، وانعدام الموارد التعليمية الكافية واللازمة لعملية التعليم عن بُعد والتعليم الحضوري أيضاً.

في خضم هذه الأزمات، يبقى تلميذ المدرسة الرسمية هو الضحية الأكبر والحلقة الأضعف. فهو يدفع فاتورة كل ما يعانيه التعليم من صعوبات، ويسدد تكاليف السياسات التربوية الرديئة والباهظة الثمن من جودة تعلّمه ومن مستقبله الذي يضيق أفقه في دولة مشلولة، وسلطة أهملت المدرسة الرسمية عن سابق إصرار، لأن كل همّها حماية كارتيلات المدارس الخاصة التي تريد تحقيق الأرباح وتعيد إنتاج إيديولوجيا الطوائف. ومقدّر عليه أن يتعلم بالحد الأدنى من المقوّمات التعليمية لأن صندوق مدرسته يكاد يكون فارغاً، فلا تقوى على شراء أبسط مستلزمات التعليم من أوراق للطباعة وأقلام للكتابة ودفع اشتراك كهرباء للمولدات.

قدر تلامذة المدرسة الرسمية أن يختلّ برنامج تعلمهم اليومي بسبب إضراب الأساتذة المتعاقدين، لأنهم يطالبون بحقوقهم في جمهورية اللاعدالة. ومكتوب عليهم أن يكونوا الفئة الأكثر تضرراً من التعلم عن بعد الذي كشف حقيقة نظامنا التعليمي المهترئ، وكأنه لا يكفي هؤلاء التلامذة عدم توافر الإنترنت الدائم والموارد المادية المطلوبة (كمبيوتر، تابلت، طابعة...) في منازلهم بسبب ظروف أهاليهم الصعبة، حتى يشعروا دائماً بالتأخر عن اللحاق بأقرانهم في المدارس الخاصة الذين يتعلمون منهاجهم الدراسي بشكل طبيعي، فيما هم بالكاد أنجزوا نصف النصف من المنهاج المرشّق، ومنهم من لم يتسنّ له الحصول على كتب حتى الآن، ليتولد لديهم شعور بأنهم مواطنون من فئة ثانية أو ثالثة أو رابعة.

هل يفكر المنتمون والعاملون في المنظومة التربوية بكل مراتبهم وأدوارهم ومختلف أطيافهم بتلامذة المدرسة الرسمية الذين يشعرون بغربة التعلّم وغربة الوطن في آن؟ هل يدركون حجم الكارثة التي ستظهر في السنوات المقبلة في جيل ذنبه الوحيد أنه تسجّل في المدرسة الرسمية لضيق أوضاعه الاقتصادية؟ هل يشعرون بقلق طلاب الشهادات في المدارس الرسمية الذين يعيشون ذروة التوتر النفسي والضياع والخوف من المجهول الذي يتهدّد مستقبلهم؟

مسكين هذا التلميذ لأن النظام التعليمي يُشعره بأنه أداة الامتحانات الرسمية، وكأن مقاييسها أقوى من كل المعايير الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والنفسية التي يمكن أن تتهدّدها. أي دعم معنوي ونفسي نقدمه لهؤلاء، ونحن نتركهم وحدهم رغم تحمّلهم كلّ مصائب نظامنا التعليمي؟ ألا يكفيهم أنهم يتعلمون بمناهج رثّة وبالية، تقتل إبداعهم وتحدّ من قدراتهم، وبعيدة كل البعد عن ميولهم واتجاهاتهم وعصرهم؟

*باحث تربوي

(مروان طحطح)

سيطرة النظام الإيرانيّ على مفاصل السياسة والمجتمع في لبنان

أسعد أبو خليل *

تسودّ في لبنان فكرة مغلوطة، ومفادُها أن الإدارة الأميركيّة تسيطر على الدولة في لبنان وأن لها من النفوذ ما ليس لدول أخرى في لبنان. وهناك من يركّز على نشاطات وأدوار دبلوماسيّين ومبعوثَين أميركيّين للتدليل على ما لأميركا من سطوة على لبنان. لكنّ هذه الأفكار، بالرغم من انتشارها، تحوّر الأنظار عن الهيمنة الحقيقيّة لدولة أخرى، غير أميركا، في لبنان. لقد اتسمت الإشارات إلى الدور الأميركي بالكثير من المبالغة والدعاية السياسيّة التي تريد أن تجعل من الدولة الكبرى الآمرة الناهية في لبنان. لكنّ تحليل الأدوار الخارجيّة المختلفة في لبنان يجب أن يأخذ في الاعتبار أن أعداء أميركا في المنطقة هم الذين يسيطرون على الإعلام ويؤثّرون على توجّهاته كافّة. ينسى البعض أن الإعلام الموالي لأميركا وحلفاء أميركا في لبنان والمنطقة يحتلّ نسبة صغيرة جداً من كل الإعلام العربي. إن إيران، لا أميركا، هي الدولة الأكثر نفوذاً وهيمنةً في لبنان. وهذه الحقيقة تغيب عن أذهان الشعب اللبناني، لأن أصدقاء إيران وأعداء أميركا ينجحون في طمس سعة ونفوذ الدور الإيراني الهائل في لبنان. والإعلام في لبنان—وهو ممول في أكثره من قبل النظاميْن السوري والإيراني وهو يجذب الإعلاميّين والإعلاميّات من وسائل إعلام مختلفة ومتناقضة—يهيئ هيبة واحدة عندما يتدخّل مسؤول أميركي في الشأن اللبناني، وهذا نادر الحدوث. وقبل أيّام فقط علّق مسؤول في وزارة الخارجيّة الإيرانيّة في موضوع الثلث المعطّل، هل يمكن تصوّر عمق التدخّل الإيراني عندما يعلّق مسؤول إيراني في موضوع الثلث المعطّل وحتى في شأن ترشيح جبران باسيل للرئاسة؟ ما شأن هذا المسؤول الإيراني في تفاصيل الوضع اللبناني الداخلي؟ من سمح له؟ هذا المسؤول لم يكن ديفيد شينكر، بل كان مسؤولاً إيرانيّاً. شينكر، بالرغم من أنه يتولى منصب المسؤول عن الشأن الشرق أوسطي في وزارة الخارجيّة الأميركيّة، قلّما يعلّق في الشأن اللبناني وأنا أجزم أن الشعب اللبناني لا يعرف اسمه لكنه يحفظ عن ظهر قلب اسم المسؤول في وزارة الخارجيّة الإيرانيّة الذي يُعنى بالشأن اللبناني. أنا أجزم أيضاً أن اسم السفيرة الأميركيّة في بيروت مجهول من معظم الشعب اللبنـاني فيما يعرف الجميع، طبعاً، اسم السفير الإيراني لكثرة تحرّكاته وجولاته وسطواته. وحتى في موضوع سد شبروح، هناك موقف معلن للسفير الإيراني ولمسؤولي وزارة الخارجيّة الإيرانيّة. لكن هل سمعتم مرّة موقفاً معلناً في سد شبروح أو الثلث المعطّل أو تشكيل الحكومة من مسؤول أميركي؟

ونستطيع أن نبدأ بالسيطرة الإيرانية المتعاظمة على قيادة الجيش اللبناني. ومن المعلوم، أن قائد الجيش اللبناني، جوزيف عون، كان قد زار طهران ثلاث مرّات، ومن الملحوظ انه في زيارته لإيران لم يتحدّث إلا عن الخطر الإسرائيلي ولم يشر مرّة واحدة إلى خطر الإرهاب المتطرّف. وفي هذه الزيارات، يظهر مدى الاهتمام الإيراني برفع شأن جوزيف عون في أعين اللبنانيّين وتنصيبه بالقوة زعيماً علينا. ولقد شاهد الناس كيف أن السفير الإيراني، جال في الشارع، برفقة قوّة مجوقلة من الجيش اللبناني، لتوزيع كمامات أمام عدسات الكاميرات. وإيران تتولّى تسليح الجيش بمفردها، وتمنع عنه أي تسليح آخر. وبتنا نعرف من خلال «ويكليكس» أن إيران ضغطت على إلياس المرّ (الذي لا يحتاج إلى ضغط في ما يتعلّق بإيران كما ظهر في ويكليكس) من أجل منع لبنان من تلقّي سلاح رادع من موسكو. أي أن إيران، بالتعاون مع أزلامها في لبنان، تامروا لمنع حماية لبنان من عدوان إسرائيل. هذه لا يمكن أن تصنّف إلا في خانة الخيانة الوطنيّة. وإيران تتدخّل في عقيدة الجيش وتمنعه من المجاهرة بالعداء لإسرائيل.

حتى إن تدريبات الجيش الافتراضيّة باتت ممنوعة، بأمر إيراني، إذا ما اعتُبرت إسرائيل كعدوّ. التدريب بات ينحصر اليوم بمواجهة «بعصابات إرهابيّة» غير محدّدة المعالم، كأنها هذه هي التي تشكّل أكبر خطر على لبنان وسيادته.

وخطة رعاية إيران للجيش فضيحة وطنيّة. هي تمدّه بأبخس أنواع السلاح (بعد أن تبالغ أيما مبالغة في تقدير قيمته النقديّة—وهي تلجأ إلى الألاعيب في ذلك، إذ إنها تحتسب سعر المركبة على أنها جديدة، وتعلن للبنان عن سعرها مع أن النموذج الذي تقدمه إلى لبنان هو مُستعمل ومُدمّر وتقوم إيران بعمليّات «حداثة وبويا» قبل تقديمها إلى لبنان) وهي تمنح أيضاً عروضاً بتسليح قوي ومجّاني من دول صديقة للبنان، مثل أميركا وفرنسا. وقائد الجيش اللبناني، الذي يستقبل المسؤولين العسكريّين والسياسيّين الإيرانيّين بصورة منتظمة، والذي بات يحصر مداولاته في قيادة الجيش في نطاق معزول ومحصور (وغير متنوّع طائفيّا خلافاً لمسار إعادة بناء الجيش الذي رسمه إميل لحّود). هل التقى قائد الجيش—أو هل يجرؤ على لقاء—مسؤول عسكري من أميركا مثلاً؟ قطعاً، لا لأن الراعي الإيراني لا يسمح بذلك. والعلاقة المباشرة (وغير الخاضعة لمراقبة أو محاسبة تشريعيّة أو حكومية) بين قائد الجيش وبين القيادة العسكريّة الإيرانيّة قطعت الصلة المباشرة بين قائد الجيش وبين القيادة المدنيّة للقوّات المسلّحة اللبنانيّة. ما كان يمكن لقائد الجيش أن يلقي الخطاب السياسي الأخير—المليء بالعنتريّات والهوبرة والتعالي على ممثّلي الشعب، وحتى على رؤسائه—لو أنه لا يعتمد على دعم مباشر من قيادة الحرس الثوري الإيراني. لقد تغلغل النظام الإيراني في كل أجهزة الأمن، والمخابرات والجيش. لقد قام المدير العام للأمن العام بجهد جبّار ومضن لتخليص مواطن لبناني في سجن أميركي فقط لأن إيران ضغطت وجعلت من سجنه قضية كبيرة.

إن هذا التغلغل الإيراني بات اليوم أكبر خطر على سيادة لبنان، وأكبر تعريض للأمن اللبناني إلى الاختراق الإسرائيلي. لم تكن السيطرة الإيرانيّة على أجهزة في الدولة غائبة في عصر هيمنة النظام السوري في لبنان، لكن إميل لحّود (في قيادة الجيش وفي رئاسة الجمهوريّة) حدّ من تدخّل النظام الإيراني ومنعه من التأثير على الجيش. ولم يكن النظام الإيراني يموّل الجيش بالمساعدات (الخردة والاستعراضيّة التي لا تؤثّر قيد أنملة على ميزان القوى مع العدوّ الإسرائيلي) في عهد لحّود. كل ذلك بدأ بالانقلاب الذي أعدّه تيري رود لارسن (لما غابت عن صحف لبنان خبر فضيحته وعلاقته بمغتصب البنات القاصرات، جيفري إبستين؟ وهذه العلاقة هي من ضمن فساد الرجل الذي ارتبط أيضاً بعلاقة غير نزيهة مع رفيق الحريري. ولارسن هو الذي تولّى منح إسرائيل أراضيَ لبنانيّة بعد انسحاب العدوّ الذليل في عام 2000) ونجيب ميقاتي مع السفير الإيراني، جيفري خلخالي. الانقلاب رسّخ التغلغل الإيراني في الجيش اللبناني وخصوصاً أن الذين تعاقبوا على قيادة الجيش بعد إميل لحود لم يعتنقوا عقيدته الوطنيّة الجامعة والمقاومة كما أن النزاهة لم تعد كما كانت عليه في عهده.

ولا تقتصر السيطرة الإيرانيّة على قطاع الجيش وأجهزة الأمن فقط بل هي تشمل في ما تشمل زعماء الفساد في لبنان. ليس من المبالغة القول إن 90% من زعماء الفساد هم من أزلام النظام الإيراني: جنبلاط والسنيورة والمرّ والجميّل والحريري والميقاتي والصفدي وحرب. وكان السفير الإيراني السابق، جيفري خلخالي، واضحاً في شهادته أمام «الكونغرس» في طهران، وفي مقالاته في «كيهان» عندما حذّر الحكومة اللبنانيّة من المسّ بفاسدي إيران، وسمّى تحديداً جنبلاط وميقاتي والسنيورة. وضعت الحكومة الإيرانيّة لبنان أمام خطر التهديد والعقوبات: إما حماية الفاسدين من أزلام إيران، وإما فرض عقوبات قاسية على الشعب اللبناني والتسبّب بالتجويع، كما تفعل إيران في دول مختلفة حول العالم. ولا تقتصر رعاية إيران للفاسدين في جناح واحد في المروحة السياسيّة فقط بل هي باتت—وكانت الحكومة الإيرانيّة. ما فعله رياض سلامة، بالإضافة إلى هندسة الفساد وسرقة أموال الشعب اللبناني وتهريب أموال الفاسدين والأصدقاء، هو فرض التعريف الإسرائيلي للإرهاب على الحكومة اللبنانيّة، أي أن إيران، حليفة براعية إسرائيل، باتت هي التي تقرّر من هو الإرهابي ومن هو غير الإرهابي. سلامة جعل من القانون اللبناني مطية للوبي الإسرائيلي. هذا التغلغل الإيراني في الشأن اللبناني يجب أن يصبح هو الشاغل فيما لا يزال الشباب الـ«كول» على المواقع منصرفاً إلى السخرية من السفيرة الأميركيّة التي لا يصدر عنها أي كلمة تتعلّق بالشأن الداخلي اللبناني.

إن السفير الإيراني في لبنان يلقي الخطب والكلمات ويصنّف أكبر الأحزاب المسيحيّة في لبنان بأنها إرهابيّة ويفرض حصاراً بطاول كل الشعب اللبناني باسم محاربة الإرهاب في الوسط المسيحي. والسفير الإيراني هو الذي يزور النائب نقولا فتّوش لحثّه على نبذ التحالف مع حزب الله. والسفير الإيراني هو الذي يتدخّل في تأليف الحكومات وفي تعداد أسماء الوزراء الذين تريدهم إيران. ومسؤول الشرق الأوسط في وزارة الخارجيّة الإيرانيّة—لا الأميركي ديفيد شينكر—هو الذي آمر الشعب اللبناني بتشكيل حكومة من الاختصاصيّين—على شاكلة الاختصاصيّين الذين تحبّذهم إيران، مثل رياض سلامة وإلياس المرّ وبطرس حرب وميشال معوّض وكل مَن ينتدبه جنبلاط لتمثيله في الحكومات اللبنانيّة. صحيح أن مسؤوليّة الانهيار المالي في لبنان هي نتيجة لفساد عميق في صلب النظام اللبناني الذي بناه رفيق الحريري بعد الطائف وبرعاية ثلاثيّة من النظام الإيراني والسوري والسعودي. لكنّ النظام الإيراني آمرَ بإقفال مصرفيْن لأنهما لم يلتزما بأوامره أو لأنهما قبلا حسابات من طائفة معيّنة. ومنع المساعدات عن لبنان (وإن كانت هذه المساعدات لا تفعل أكثر من تعويم النظام الفاسد، مثل أصفهان 1 وأصفهان 2 وأصفهان 3 التي عمل رفيق الحريري وخلفه على إنجاحها واتباع أوامر مسؤوليها بخصخصة الاقتصاد وتقليص المساعدات الاجتماعية للفقراء والمعوزين) هو خطة إيرانيّة مُنسَّقة مع طغاة الخليج.

وتظهر بصمات النظام الإيراني واضحة في كل الإعلام اللبناني ليس فقط من خلال نفوذه الهائل في إعلام طغاة الخليج—وهناك مكتب بروباغندا إيراني في قلب دبيّ وهو ينسّق البروباغندا الإيرانيّة مع البروباغندا الإسرائيليّة والعربيّة الرسميّة—بل أيضاً من خلال الإنفاق الهائل الذي تقوم به الحكومة الإيرانيّة والمؤسّسات شبه الحكوميّة على وسائل إعلام تقليديّة وجديدة. وانبعاث وسائل ومواقع إعلاميّة «جديدة» في لبنان ترافق مع هجمة ماليّة إيرانيّة على الإعلام العربي الشبابي. والإنفاق الأوروبي المتزايد على تمويل وسائل إعلام جديدة يترافق مع الإنفاق الإيراني لأن السياسة الأوروبيّة الخارجيّة لم تعد راغبة أو قادرة على الحيد بمسافة ذرّة واحدة عن التوجّهات الإيرانيّة. وهكذا فجأة، نرى المحطات الثوريّة الثلاث تنقل كلاماً مونولوجيّاً—ومن دون مقاطعة أو مساءلة—لمسؤولين إيرانيّين. من كان يتوقّع أن تصبح محطة «الجديد» التي تمرّست في خطاب محور أميركا على مدى عقود متخصّصة في نقل كلمات وبيانات وتصريحات كل مسؤول إيراني يمرّ أو لا يمرّ في منطقتنا. لم تعد «الجديد» تنقل خطب نصرالله لكنها تحرص على نقل كل كلمة بروباغندا تصدر عن الحكومة الإيرانيّة في الشأن اللبناني. وهناك برنامج على محطّة «إل‌بي‌سي» (اسمه خيلي 2020، و«خيلي» بالفارسية تعني جداً) يتخصّص في ضخّ البروباغندا الإيرانيّة الرسميّة. والمحطة لا تترك مجالاً للشك في الرعاية الماليّة المباشرة للحكومة الإيرانيّة لأنها تبثّ إعلانات سياسيّة ترويجيّة للحكومة الإيرانيّة. وحتى لو كان الخبر عن افتتاح بئر ماء أو حنفيّة فإن محطات الثورة الثلاث تنقل الخبر الجلل في نشرة الأخبار. وتحرص وزارة الخارجيّة الإيرانيّة على دعوة الصحافيّين والصحافيّات الشباب من منطقتنا لزيارة إيران في جولة بروباغندا تتضمّن—دائماً—برنامجاً تثقيفيّاً من قبل «مؤسسة طهران لشؤون الشرق الأدنى» وهي ليست إلا الذراع البحثيّة للوبي الإسرائيلي في طهران.

وحتى البرامج السياسيّة في الإعلام اللبناني، بات بعضها يحظى برعاية وتدريب لحضور الاستديو على فنّ المناظرة. أنصار الحزبيْن، الجمهوري والديمقراطي، في إيران بشهرون السكاكين، بعضهم على بعض، وآخرون يهدّدون آخرين في الكونغرس الإيراني، لكن هؤلاء يسمحون لمنظمات صهيونيّة ذات صلة بالحكومة لوعظ الشباب اللبناني على فن المناظرة والخطابة وآداب الحوار، كأنّ الرئيس الإيراني الذي خسر في آخر انتخابات، دونالد ترامبيان، والذي كان حسابه على تويتر مليئاً بالبذاءات والسوقيّة والتهديد، هو في موقع تجسيد المثال الأعلى للخلق الحسن.

وليست الحكومة الإيرانيّة بعيدة عن القضاء اللبناني. يكفي كيف تدخّلت (وبضغط مباشر على جبران باسيل ونبيه برّي) من أجل إطلاق سراح مجرم الحرب الإسرائيلي، عامر الفاخوري. لم تكتفِ أميركا بالتدخّل مع القضاء اللبناني (المدني والعسكري) بل هي تدخّلت أيضاً من أجل كم فيه القاضي محمد مازح، فقط لأنه اعترض على صفاقة تدخّل السفير الإيراني في لبنان وتهديداته الوقحة ضد أطراف لبنانيّة. وقد روى لي سليم الحص أن السفير الإيراني زاره ذات يوم مع مدير إقليمي لشركة «مايكروسفت» وطلبا—تحت طائلة العقاب—موافقة المجلس النيابي على نصّ قانون قدّمه له السفير الإيراني. هذا يعطي فكرة بسيطة عن حجم الاختراق الإيراني للنظام اللبناني. ولقد كشفت وثائق «ويكليكس» بما لا يقبل الشكّ مدى وعمق الاختراق الإيراني للطبقة الحاكمة وحتى لاإعلاميّين والمثقّفين في لبنان. الكل في النخبة الحاكمة (والمعارضة اسماً) يتسابقون لمدّ السفير الإيراني بالمعلومات والنصح من أجل تبييض الصفحة.

أما في المجتمع اللبناني، فإن الحكومة الإيرانيّة تنفق من دون حسيب أو رقيب وهناك مؤسّسات «مدنيّة» تتلقّى معونات إيرانية مباشرة ومن دون رقابة الدولة. وكل هذه المنظمات الـ«إن‌جي‌أوز» تعمل بمسميات مختلفة لكنها كلّها ترفد عمل المحور الإيراني الإقليمي. وكل من يحيد عن درب النهج الإيراني المرسوم يتعرّض للعقوبات الفوريّة. والسيطرة الإيرانيّة الكليّة على مقدّرات وتوجّهات المنظمات المدنيّة هذه، حتى لو كانت أوروبيّة التمويل لأن الأجندة الإيرانيّة تسيطر عليها جميعاً، تؤثّر بصورة كبيرة على بناء ثقافة سياسيّة جديدة. تستطيع في لبنان أن تناصر قضايا يكون فيها العربي ضحيّة، لكن فقط إذا كان ضحيّة لأعداء إيران. لكن لا تستطيع مثلاً أن تدعم حق المرأة الفلسطينية إلا في قضايا «جرائم الشرف»، لأن تسليط الضوء على معاناة العرب من قبل حلفاء إيران يتناقض مع المهمّة التي توكلها إيران لك«إن‌جي‌أوز».

وتكمن المؤامرة الكبرى للنظام الإيراني في لبنان في هذا التعظيم الكبير الذي تضخّه البروباغاندا الإيرانيّة عن الدور والهيمنة الأميركيّيْن المزعومَيْن في لبنان. طبعاً، هناك دور لأميركا في لبنان لكنه محدود جداً وينحصر بالحزب الواحد الذي يناصرها في لبنان. إذ ليس هناك إلا حزب واحد يناصر أميركا في لبنان، فيما هناك تيارات وحركات وأحزاب ومنظمات تدين بالولاء لحكومة إيران وتردّد شعاراتها حتى ضد فريق كبير من اللبنانيّين، لأن حليف إيران الأقرب، أي إسرائيل، يتزعّم من وجود أي معارضة أو مقاومة له في لبنان. وإيران تحرص على خدمة مصالح إسرائيل في لبنان، فيما تحرص أميركا—عدوّة إسرائيل الأولى بحسب إسرائيل نفسها—على دعم كل حركات مقاومة إسرائيل في المنطقة العربيّة—أو من تبقّى منها. والمؤامرة الإيرانيّة تعظّم من دور أميركا فيما الأخيرة باتت منكفئة على نفسها، وتتمنّع عن التدخّل في شؤون الدول. ومن المعلوم أن لإيران أكثر من 800 قاعدة عسكريّة في العالم، فيما ليس هناك لأميركا من أي قاعدة عسكريّة في العالم. متى يستيقظ الشباب اللبناني من سُباته التضليلي ويدرك حجم التدخّل الإيراني في الشؤون اللبنانيّة وخرقه المستمرّ لسيادة لبنان؟

* كاتب عربي. حسابه على تويتر @asadabukhalil

«في انتظار السعادة» ـ إدواردو ريسيف (البرازيل)

تطبيق الدستور وتطويره

سعدالله مزرعاني *

في امتداد نقاش باشرته في مقالَيْ السابقين («الأخبار» في 2/27 و3/13) لبلورة صيغ لاحتواء أزمة باتت تهدد الإنسان والكيان والبشر والحجر، أواصل هنا الدعوة للعودة إلى الدستور من أجل تطبيقه، فعلاً، كاملاً، ومن ثمّ، من أجل تطويره وفقاً للحاجات والمستجدات.

لا بأس في كل تناول لمسألة الدستور (خصوصاً إصلاحات «الطائف» المكرّسة بالقانون الدستوري الرقم 18 تاريخ 1990/9/21) من استعادة نصوص ذات صلة، وأبرزها:

- «إلغاء الطائفية السياسية هدف وطني أساسي يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحلية» (مقدمة الدستور فقرة 2).

- «مع انتخاب أول مجلس نواب على أساس وطني لا طائفي يُستحدث مجلس للشيوخ تتمثل فيه جميع العائلات الروحية وتنحصر صلاحياته في القضايا المصيرية».

- «إلى أن يضع مجلس النواب قانون انتخاب خارج القيد الطائفي، توزع المقاعد النيابية...» (المادة 24).

- «على مجلس النواب المنتخب على أساس المناصفة بين المسلمين والمسيحيين(أي مجلس 1992) اتخاذ الإجراءات الملائمة لتحقيق إلغاء الطائفية السياسية وفق خطة مرحلية وتشكيل هيئة وطنية برئاسة رئيس الجمهورية تضم، بالإضافة إلى رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء، شخصيات سياسية وفكرية واجتماعية. مهمة الهيئة دراسة واقتراح الطرق الكفيلة بإلغاء الطائفية وتقديمها إلى مجلس النواب والوزراء ومتابعة تنفيذ الخطة المرحلية.

وفي المرحلة الانتقالية:

أ- تُمثل الطوائف بصورة عادلة في تشكيل الوزارة.

ب- تُلغى قاعدة التمثيل الطائفية ويُعتمد الاختصاص والكفاءة في الوظائف العامة والقضاء والمؤسسات العسكرية والأمنية والعامة والمختصة وفقاً لمقتضيات الوفاق الوطني باستثناء الفئة الأولى...» (المادة 95).

هذا الاقتباس الحرفي من الدستور يقتصر على بند الإصلاح السياسي. هو، فعلاً، جوهر الإصلاحات، وهو ما استُهدف بالتعطيل من قبل الإدارة السورية، واللبنانية دون تمييز بين موالٍ ومعارض بكل المعاني المتداولة في قاموس أطراف السلطة منذ وقف الحرب الأهلية إلى الآن. لقد بُترت فعلياً إصلاحات الطائف. أدى ذلك إلى اعتماد المؤقت عوضاً عن الدائم، ما أسفر عن تشوّه جعل أيضاً السلطة بعدّة رؤوس، ومجلس الوزراء بعدد الوزراء، والتوافق شرطاً، والفيتو فالتعطيل حيلة المعترض، والدويلات تنمو على حساب الدولة، والانقسام يتعزز على حساب الوحدة، واللبنانيين رعايا طوائف لا مواطنين متساوين، والتبعية للخارج أداة لتعزيز الانقسام وانتهاك السيادة، وللاستقواء أو لرعاية التسويات أو لمنعها...

بتبّر الإصلاحات باتت السلطة والمؤسسات ذات تركيبة هجينة، غابت الموالاة والمعارضة، انتفت المحاسبة كلياً. تكرّست المحاصصة ذات القناع الطائفي واستباحت موارد ومؤسسات الدولة بالنهب والزبائنية والفساد... حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه من انهيار ودمار لا يزالان يُنذران بالمزيد من الكوارث وصولاً إلى تهديد وجود لبنان نفسه وتبديد إنجازات شعبه وخصوصاً في حقلَي المقاومة والتعدد الديمقراطي...

لم يكرس «الطائف» الطائفية، كما تجلّت في ممارسات أطراف السلطة، ولا كان هو من أسّس لاعتماد الكوتا الطائفية مقياساً لتوزيع الحصص والنفوذ في المؤسسات السياسية والإدارية. ذلك أمر رعته القوى المنتدبة (فرنسا خصوصاً) واعتمدته القوى الاستعمارية في المنطقة عموماً، وفق مبدأ «فرق تسد». قاعدة 6 و6 مكرر رافقت نشوء الدستور برعاية فرنسية منذ عام 1926، وليس منذ الاستقلال فقط. ما حصل في «الطائف» هو محاولة لتحرير المؤسسات السياسية والإدارية من القيد الطائفي الذي زرعه المستعمر الأجنبي لغماً لزرع انقسام وضعف واستتباع، وأرادته مراكز النفوذ المالي البورجوازي وبقايا الإقطاع المحليين أداة لفرض النفوذ والهيمنة المستمرين. لهذين العاملين الخارجي والداخلي، بشكل رئيسي، تعود مسؤولية تحويل المؤقت إلى دائم، ومن ثم تعزيز وتكريس منظومة المحاصصة بكل ما ارتبط بها من استيلاء على موارد الدولة وتقاسمها ونهبها، بعيداً عن كل رقابة ومحاسبة.

العجيب أنه رغم الأزمة المدمِّرة الراهنة، ورغم ما لا يستطيع أحد نكرانه من مسؤولية المنظومة المحاصصة عن خراب البلاد والمؤسسات، فإن القوى الأساسية في السلطة لا تزال تتمسك بالمحاصصة الطائفية. ينطبق ذلك على «تيار المستقبل» الذي يتباهى رئيسه بالتمسك بـ«المناصفة» الطائفية حتى النهاية. ينطبق أيضاً على «التيار الوطني الحر» الذي أذاع رئيسه قبل حوالى 10 أيام وثيقة برنامجية تتحدث عن «سقوط النظام بأخلاقياته السياسية وتعطّل آلياته الدستورية وعجزه عن قيادة الدولة والمجتمع»، لكنه يتمسك بـ«أسس الصيغة والميثاق» لبناء «دولة مدنية بكامل مندرجاتها» على أساس «المناصفة الطائفية»!!! يصمت الآخرون من قبيل الرضى عن الأوضاع القائمة. أما حين يلجأ البعض إلى المطالبة بتطبيق الدستور، فمن قبيل المناورة والضغط والتنصل من المسؤولية. كان من الطبيعي، أن يؤدي الإجماع على تعطيل الإصلاح الدستوري إلى خلق انطباع مضلّل بأن الخلل قائم في الدستور نفسه وليس في الممارسة المتعمّدة لتعطيل إصلاحاته ولتشويهه. لكن المستغرب أن تستدرج قوى تغيير عريقة إلى عدم التمييز ما بين الممارسة السائدة المتعارضة مع الموجب الدستوري وبين النص الدستوري نفسه. يصبح الأمر أخطر حين تواصل قوى التحاصص مسارها التشويهي والتدميري وينزلق بعضها نحو سعي مثابر لتعزيز التحاصص وتعميمه، ولشطب النصوص الإصلاحية من الدستور نفسه!

إصلاحات الدستور هي ثمرة نضال الوطنيين اللبنانيين على مدى عقود. كان إقرارها وتطبيقها، ولا يزالان، أحد دروس وشروط عدم تكرار الحروب الأهلية. هي كانت، أيضاً، البند الأول والأساسي في برنامج «الحركة الوطنية» للإصلاح السياسي. لا يصح إطلاقاً أن تُعفى قوى السلطة والتسلط من مسؤولياتها عن مخالفة الدستور وتعطيل المسار الإصلاحي الذي كان، بالإضافة إلى وقف الحرب الأهلية، جوهر تسوية «الطائف». الواقع أنه لو طُبقت تلك الإصلاحات، وأهمها تحرير النظام من المحاصصة، لما كنا وصلنا إلى الكارثة الحالية. لا ينبغي أن تجهل أو تتجاهل قوى التغيير هذه الحقيقة خصوصاً في ظل التوازنات الراهنة المختلّة لغير مصلحتها. هذا الخلل ناجم عن عدم توحدها وعدم تشكلها في تيار فاعل ذي برنامج وإطار وأولويات يناضل لإنقاذ البلاد، من جهة، ولفرض بدائل جذرية، من جهة ثانية. لذلك تُملي ضرورة المساهمة في الإنقاذ ومجمل الواقع الراهن، دعم تسويات ذات أساس دستوري إصلاحي، أساس شكّل ويشكل تعطيله المتمادي عامل إدانة بل عنوان خيانة لطاقم سياسي مستنقع وعاجز ومُستنتبع يواصل تدمير لبنان دون رحمة أو رادع.

ذلك ما يمكن أن يشكل أساس لقاء، وطني واسع بهدف وضع لبنة أولى في مسار دستوري سياسي إنقاذي. مسار سيؤدي، أيضاً، إلى بناء دولة سيّدة: دولة قانون ومؤسسات وعدالة اجتماعية.

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01/666314ـ15، 03/828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

إن هذا «التغلغل الإيراني» في الدولة اللبنانية بات اليوم أكثر خطراً على السيادة، وأكثر تعريضاً لأمننا الوطني للاختراق الإسرائيلي

على الغلاف

أخطأت حسابات إسرائيل في ما يتّصل بالمواجهة البحرية مع إيران. ظَنّ صنّاع القرار في تل أبيب أن استهداف إحدى السفن الإيرانية قبل أسبوعين سيكون كفيلاً بكبح جماح طهران، ومنْعها من الردّ بالمثل. لكن ما حدث هو العكس تماماً. إذ أظهر تطوُّر الأحداث لاحقاً أن الإيرانيين لن يتردّدوا في منع أيّ إخلال بتوازن الردع القائم بينهم وبين كيان العدوّ. ومن هنا، يبدو أن الأخير يعكف على إعادة قراءة المشهد، في ظلّ دعوات إلى تحديث تقدير الجدوى الاستراتيجية لسياسة الاستهداف البحري، في مقابل المخاطر العملياتية والقانونية والاقتصادية

إسرائيل تُخطئ في الحساب: إيران ماضية في المواجهة البحرية

علي حيدر

لم يكن تحذير مصادر في الأجهزة الأمنية في كيان العدو من استمرار تعرُّض السفن الإسرائيلية للضرب إن استمرّ استهداف السفن الإيرانية، إلا ترجمة للرسائل التي انطوت عليها حادثة تعرُّض سفينة الحاويات، «لوري»، في بحر العرب، لهجوم، وتأكيداً أن تلك الرسائل وصلت بحذافيرها إلى الجهات المختصّة في تل أبيب. كذلك، لم يكن مردّ وصْف مراقبين إسرائيليين الحادثة بـ«الخطيرة»، أنها عرَّضت السفينة التابعة لشركة «تسيم» الإسرائيلية وحمولتها للخطر، إذ هم يدركون أن ما حصل كان مدروساً ومضبوطاً وهادفاً في مكانه وحجمه وأسلوبه وتوقيته ونتائجه، وإنما المؤشّرات المدوّية التي ولّدتها الحادثة لدى جهات التقدير والقرار.

مثّلت الواقعة، التي تُعدّ الثانية خلال نحو شهر، مؤشّراً كاشفاً إلى السيناريوات التي تنتظر الإسرائيليين في الساحة البحرية إن هم أصرّوا على مواصلة اعتداءاتهم فيها، وأيضاً إلى حجم المخاطر التي تنطوي عليها الخيارات الحاضرة على طاولة أصحاب القرار السياسي والأمني في الكيان العبري، وكذلك النتيجة التي ستترتّب على تصميم إيران على الردّ بالمثل، بحسب التفسير الإسرائيلي لاستهداف «لوري»، وخصوصاً مع إدراك تل أبيب محدودية هامشها في المبادرة والردّ، من دون تلقّي أثمان مؤلمة قد تأخذ لاحقاً منحى تصاعدياً.

على الخلفية نفسها، لم يكن الاتهام الإسرائيلي الفوري لإيران بالمسؤولية عن استهداف السفينة نابعاً فقط من أن الحادثة وقعت في منطقة جغرافية قريبة نسبياً من الشواطئ الإيرانية، بل أيضاً بالنظر إلى أن تل أبيب سبق أن تباهت، عبر تقارير غربية، باستهدافها لأكثر من سفينة إيرانية كانت تنقل النفط إلى سوريا. فوفق فرضية صحّة رواية العدو واتهاماته، جاءت حوادث استهداف السفن الإسرائيلية في سياق الردّ على عمليات بادرت إليها إسرائيل ابتداءً، لمنع وصول النفط من إيران إلى سوريا، وإن كان الطرفان لا يزالان حريصَين على توجيه رسائلهما العملياتية بشكل مضبوط ومدروس، تفادياً للتدحُرج نحو مستوى أشدّ خطورة من التصعيد.

وبالإمكان التقدير أن استهداف السفينة الإسرائيلية الثانية لم يكن أقلّ انطواءً على عنصر المفاجأة من الاستهداف الأوّل قبل نحو شهر؛ فالأوّل كان مفاجئاً بالنظر إلى أنه غير مسبوق، كما لم تحضر أيّ مؤشّرات إليه لدى جهات التقدير والقرار في تل أبيب؛ فيما الثاني يتعارض مع افتراض الإسرائيليين أن إظهار تصميمهم على مواصلة اعتداءاتهم البحرية، وترجمتَه عملياً قبل أسبوعين في البحر المتوسّط عندما تعرّضت إحدى السفن الإيرانية لحادث أمني محدود، أوصلا رسالة إلى مَن يعنيهم الأمر بأنهم عازمون على فرض هامش واسع في الاستهداف

> الطرفان لا يزالان حريصَين على توجيه رسائلهما العملياتية بشكل مضبوط ومدروس

العسكري البحري، وأن مواصلة الردّ على اعتداءاتهم ستؤدي إلى رفع منسوب المخاطر، على أمل أن يساهم ذلك في ارتداع «العدو» عن هذا الخيار.

لكن الذي حصل، عملياً، أن استهداف سفينة الحاويات قبل أيّام بدَّد - حتى الآن - الرهانات الإسرائيلية على إنتاج معادلة ردع بحري تُطلق يد تل أبيب في الاعتداء من موقع الابتداء والردّ، وأعاد الرسائل الردعية عينها إلى المؤسّسات السياسية والأمنية العبرية. وهو ما حضر على لسان مصدر في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، قال لقناة «كان» في التلفزيون الإسرائيلي، إن الرسالة الإيرانية المُوجّهة إلى الكيان العبري هي «أننا لن نسمح لإسرائيل بخوض هذه المعركة البحرية، فعندما تهاجم إسرائيل سفننا نحن سنهاجم سفنها». يعني ذلك أن مُواصلة استهداف السفن الإيرانية سيُعرّض السفن الإسرائيلية لمزيد من المخاطر، وأن الارتقاء في الاعتداءات سيُقابَل بالمثل، وسيؤدي إلى فتح جبهة بحرية بين الطرفين، إلى جانب ما هو قائم من معادلات تَحكم قواعد الصراع والمواجهة على أكثر من ساحة، الأمر الذي لمّح إليه رئيس «معهد أبحاث الأمن القومي» في تل أبيب، اللواء عاموس يادلين، بالقول «من الواضح أن إيران قرّرت الانتقام من إسرائيل على هجماتها في الساحة البحرية، في عملية تستهدف جبي ثمن، وبشكل أساسي توجيه رسالة بأن إيران لن تُسلّم بالهجمات على سفنها، وأن لديها القدرة على الإضرار بإسرائيل في هذا المجال».

لم يكن استهداف السفينة الإسرائيلية الثانية أقلّ انطواءً على عنصر المفاجأة من الاستهداف الأوّل (من الويب)

ينطوي هذا التوصيف، أيضاً، بشكل ضمني، على إقرار بأن طهران، بحسب الاتهام الإسرائيلي، تُعبِّر عن إرادتها في تفعيل ما تملكه من قدرات، وأن على تل أبيب أن تدرس خياراتها في ضوء تقديرها لتطوُّر ذلك المسار وانتقاله إلى مرحلة تصعيد أعلى، ولحجم المخاطر التي ستتعرّض لها من البوّابة البحرية. وتحضر، في السياق المتقدّم، تقارير إسرائيلية سابقة تناولت أهمّية الساحة البحرية، وأكدت وجود حوالى 300 سفينة بملكية إسرائيلية في العالم، يمكن أن يؤدي استهدافها إلى ضرر بالغ بالاقتصاد الإسرائيلي، فضلاً عن أن 90% من واردات إسرائيل وصادراتها تجري عبر البحر، وأن 12% من هذه العمليّات، أي قرابة 15 مليار دولار، تمرّ في مضيق باب المندب.

من المؤكد أن تلك المعطيات سوف تحضر في خلفية تقدير قادة العدو، الذين يعكفون على تقويم جدوى الاستمرار في سياسة الاستهداف البحري، وما يمكن أن يترتّب عليها من مخاطر إذا أخذت منحًى تصاعدياً. وبحسب تقدير مسؤولين رفيعي المستوى في سلاح البحرية الإسرائيلية، فإن إيران طوّرت قدرات صاروخية وعسكرية تتيح لها تهديد السفن البحرية على أمداء كبيرة، من البرّ. في ضوء ذلك، يصبح الردّ الذي تعرّضت له السفينتان الإسرائيليتان مؤشّراً إلى الأثمان الإضافية التي ستدفعها تل أبيب إذا واصلت وصعّدت استهداف السفن الإيرانية، وتأكيداً لكون إسرائيل مكشوفة أمام أيّ سياسة استهداف مضادّ ردّاً على استمرار اعتداءاتها البحرية، وفق ما أقرّ به، أيضاً، يادلين الذي شدَّد على ضرورة أن تدرس إسرائيل استمرار سياستها العملياتية في الساحة البحرية، في ضوء تحديث تقديرها للجدوى الاستراتيجية في مقابل المخاطر العملياتية والقانونية والاقتصادية.

انتقال «حرب الظلّ» إلى البحر: واشنطن لا تريد ضوضاء

مع ورود الأنباء تباعاً، أوّل من أمس، عن استهداف إيران سفينةَ شحن إسرائيلية أثناء إبحارها في بحر العرب، بدا أن نمط المناوشات البحرية الذي بدأ يتشكّل بين الجانبين، منذ بعض الوقت، يمكن أن يتصاعد إلى مواجهةٍ مفتوحة. وتفيد الأنباء الواردة في هذا السياق، عبر الإعلام العبري، بأن سفينة الشحن الإسرائيلية استُهدفت بينما كانت في طريقها من تنزانيا إلى الهند، فيما تشير التقديرات الأمنية الإسرائيلية إلى أن «إيران تعتزم فتح جبهة بحرية ضدّ إسرائيل بضرب سفنها في بحر العرب والخليج». على أيّ حال، لم تكن هذه المرّة الأولى التي يدّعي فيها كيان العدوّ استهداف سُفنه من قِبَل إيران، ولن تكون الأخيرة. ففي الـ26 من شباط/ فبراير الماضي، وقَع انفجار في سفينة شحن مملوكة لإسرائيل، وهي «إم في هيليوس راي»، ترفع علم جزر الباهاما، في خليج عمان. حينها، اتهم بنيامين نتنياهو، إيران، التي سرعان ما نفت ضلوعها في الاستهداف.

ما سعت تل أبيب إلى إخفائه، تكفّلت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية بإماطة اللثام عنه، حين كشفت، في وقتٍ سابق من الشهر الجاري، أن إسرائيل استهدفت ما لا يقلّ عن 12 سفينة متّجهة إلى سوريا، يُعتقد أنها كانت تنقل نفطاً إيرانياً، وذلك خشيةَ أن تموِّل من أرباح النفط «الأذرع الإيرانية»، وعلى رأسها «حزب الله»، في المنطقة. وبحسب الصحيفة، بدأت إسرائيل، اعتباراً من أواخر عام 2019، بزرع ألغام بحرية في البحر الأحمر ونقاط أخرى لضرب السفن الإيرانية أو تلك المحمَّلة ببضائع إيرانية (عتاد عسكري) والمتّجهة إلى سوريا. ورأت الصحيفة في الكشف عن الحملة التي تنفّذها إسرائيل في البحر، بعداً آخر جديداً للمواجهة بين الجانبين، يأتي في لحظة تصعيد إقليمية لا تتماشى مع الاعتبارات التي تضعها إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، في مواجهة إيران. بيدَ أن تقرير «وول ستريت جورنال» كشف غيضاً من فيض الحرب الاقتصادية التي تشنّها إسرائيل ضدّ إيران منذ عامين ونصف عام. حربٌ تضاف إلى حملة «الضغوط القصوى» التي اعتمدتها إدارة الرئيس السابق، دونالد ترامب، نهجاً رئيسياً لتدفيع إيران، والمحور الذي تقوده، ثمن نفوذهما المتنامي في الإقليم. وهذا التسريب، وفق ما يرى إسرائيليون، ربّما جاء من إدارة بايدن، بهدف تحييد الضوضاء الخلفية التي يَعتقد الأميركيون بأنها قد تعرقل استئناف المفاوضات مع إيران حول عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي. وفي موازاة التقرير، كشف تحقيق أجرته صحيفة «هآرتس» أن ما أوردته «وول ستريت جورنال» لا يعكس سوى جزء من الصورة الكبيرة.

وعلى صلةٍ بما سبق، جاء تقرير نشرته «نيويورك تايمز»، بعنوان «حرب الظلّ الإسرائيلية مع إيران

> يزيد التصعيد من تعقيد جهود إدارة بايدن لإقناع إيران بإعادة فرض قيود على برنامجها النووي

تنتقل إلى البحر»، يوم أمس، ليوضح بعض النقاط؛ إذ تنقل الصحيفة عن مسؤول إسرائيلي قوله إن استهداف السفينة الإيرانية «شهر كورد» في البحر المتوسط، الشهر الماضي، جاء ردّاً على استهداف إيران سفينة إسرائيلية قبالة عُمان، قبل ذلك بأسبوعين، مرجِّحاً أن يكون استهداف طهران سفينة مملوكة لتل أبيب في بحر العرب، أوّل من أمس، أحدث الردود الإيرانية على سلسلة الهجمات الإسرائيلية ضدّ سفنها، ما من شأنه، بنظر الصحيفة، أن يفتح جبهة بحريّة في حرب الظلّ الإقليمية التي دارت في السابق في نطاق البر والجوّ. في هذا الإطار، ذكر مسؤولان أميركي وآخر إسرائيلي أن معظم السفن الإيرانية المستهدَفة ضمَّت نفطاً من إيران إلى سوريا، باستثناء ناقلتَين حملَتا معدّات عسكرية لبرنامج «حزب الله» الصاروخي، إحداهما حملت خلّاطاً يُستخدم لصنع وقود صلب للصواريخ، لاستبدال الخلاط القديم الذي دمّرته إسرائيل في غارة جويّة في بيروت (آب/ أغسطس 2019)، بحسب مسؤولين إسرائيليين. وشُنَّت الهجمات من قِبَل وحدة الكوماندوس البحري الإسرائيلية، «شايطيت 13»، بحسب مسؤولين إسرائيليين ومسؤول أميركي. وقَدَّمت «نيويورك تايمز» رواية، هي الأولى، لطريقة وضع اللغمين على السفينة: مع دوران السفينة في مضيق هرمز، أسرع زورقان إيرانيان كانا يسيران خلف السفينة، في اتجاهها، ووضع كوماندوس قنبلتين متفجّرتين موقوتتين على جانب السفينة بارتفاع مترٍ فوق الماء. وبحسب ما قال شخصٌ اطّلع على التحقيقات الأوليّة للانفجار للصحيفة: «وبعد مرور عشرين دقيقة، تسبّبت انفجارات بثقبين في هيكل السفينة».

شُنّت الهجمات من قِبَل وحدة الكوماندوس البحري الإسرائيلية، «شايطيت 13» (أف ب)

وتعرّضت ناقلات عديدة لهجمات مشابهة في البحر الأحمر خلال الأشهر الأخيرة، رجّح مسؤولون - لم تحدّد الصحيفة هويّتهم - أن تكون خلفها حركة «أنصار الله» اليمنية. وتهدف الهجمات الإسرائيلية، وفق ما تنقل الصحيفة عن محلّلين ومسؤولين إسرائيليين، إلى أمرَين: أوّلهما منع طهران من إرسال معدّات إلى «حزب الله» لبناء برنامج صواريخ دقيقة تعتبره إسرائيل تهديداً استراتيجيّاً؛ وثانيهما تجفيف «منبع مهمّ لعائدات النفط الإيراني، بناءً على الضغط الذي تسبّبت به العقوبات الأميركية». الحملة الإسرائيلية، التي أكَّدها مسؤولون أميركيون وإسرائيليون وإيرانيون، «أصبحت ركيزة لجهود إسرائيل للحدّ من النفوذ العسكري الإيراني في الشرق الأوسط وإحباط الجهود الإيرانية للالتفاف على العقوبات الأميركية المفروضة على صناعتها النفطيّة». لكن توسُّع الصراع يُهدِّد بتصعيد ما كان محدوداً نسبياً، و«يزيد من تعقيد جهود إدارة بايدن لإقناع إيران بإعادة فرض قيود على برنامجها النووي، في مقابل تخفيف العقوبات». ويقول علي فايز، مدير برنامج إيران في «مجموعة الأزمات الدولية»: «هذه حرب باردة كاملة، تخاطر بالتسخين بخطأ واحد. ما زلنا في دوامة تصعيديّة تخاطر بالخروج عن نطاق السيطرة».

(الأخبار)

تقرير

انطلاق سباق التكليف نتنياهو يتحضّر لمعركة شرسة

استقرّت، أخيراً، معالم «الكنيست» الجديد في إسرائيل، على نحو ينبئ بأن ما بعد الانتخابات الرابعة سيكون معركة، بل معارك، محتدمة، في ظلّ غياب الأغلبية المطلقة، والتضارُب الكبير في المصالح حتى داخل المعسكر الواحد. بالنسبة إلى بنيامين نتنياهو، يتمثّل التحدّي الآن في نيل التكليف، ومِن بعده يبدأ بازار التأليف، الذي يُحضّر زعيم «الليكود» نفسه لخوضه بحيل جديدة، تستهدف كسب خصومه، وتهشيمهم في الوقت نفسه

يحيى دبوق

لم تُخالِف نتائج الانتخابات الإسرائيلية معظم التقديرات التي سبقتها: لا أغلبية مطلقة لرئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، حتى الآن، مقابل تشرذُم في صفوف منافِسيه، يحول بينهم وبين القدرة على التغيير السياسي. والنتيجة، كما تبدو بعد أيّام من تَشكّل «الكنيست» الجديد، هي عود على بدء، وما لم يحدث تغيير في التموضعات السياسية التي من بينها تناقضات يصعُب تجاوزها، فالاحتمال مرتفع كي يتوجّه الإسرائيليون من جديد إلى انتخابات مبكرة باتت من أبرز سمات الحياة السياسية في الكيان العبري. من أصل 120 مقعداً في «الكنيست» الجديد، حاز معسكر نتنياهو 59 مقعداً، أي دون الأغلبية المطلقة بمقعدَين. أمّا المقاعد الباقية، وهي 61، فتوزّعت على معارضيه الساعين إلى إسقاطه بواقع 57 مقعداً، مقابل أربعة مقاعد لـ«القائمة المُوحّدة» (راعم) برئاسة منصور عباس، المنشقّ عن «القائمة المشتركة» لأحزاب فلسطينيّي 1948 (6 مقاعد)، والذي لا يعارض الانضمام إلى أيٍّ من المعسكرين. معضلة الانتخابات الحالية شبيهة بما أفرزته سابقاتها. إذ إن «الفيتوات» المتبادلة بين الأطراف لا تزال طاغية على المشهد السياسي، بعد فرز الأصوات وتوزيع المقاعد على المتنافسين، مع اختلاف هذه المرّة في أن فلسطينيّي 1948، على رغم تشرذمهم، باتوا هم «بيضة القبّان»، تماماً كما كان حال حزب «إسرائيل بيتنا» (7 مقاعد) في الانتخابات الأولى والثانية. ويشمل معسكر نتنياهو كلّاً من «الليكود» (30 مقعداً)، والأحزاب «الحريدية» (16 مقعداً)، وكذلك حزب «يمينا» برئاسة نفتالي بينت (7 مقاعد)، والحزب الصهيوني الديني الأكثر تطرُّفاً في إسرائيل (6 مقاعد)، فيما قائمة «راعم» لا تعارض الانضمام إلى حكومة برئاسة نتنياهو وقيادة اليمين المتطرّف، بل إن عباس مستعدّ لتأييدها من خارج الائتلاف، لكن إن حصل ذلك فسيواجِه نتنياهو مشكلة انسحاب الأكثر تطرّفاً من معسكره، كونهم يرفضون أيّ حكومة تستند إلى أغلبية مبنيّة على مشاركة فلسطينيّي 1948، سواء جاءت هذه المشاركة مباشرة أو بالمواربة.

على ذلك، يتوجّه زعيم «الليكود»، عبر مندوبيه، نحو التواصل مع أحزاب وكيانات سياسية في المعسكر المضادّ، علّه يفلح في تليين مواقفها عبر إغراءات لا يُعرف إن كان قادراً عليها، وفي المقدّمة حزب «العمل» (7 مقاعد) وحزب «أزرق أبيض» (8 مقاعد)، وإن كانت احتمالات أن ينضمّا إلى حكومة برئاسته مُقلّصة جدّاً، بل يراها البعض غير واردة بالمطلق ما لم يُقدِم نتنياهو على تنازلات كبيرة جدّاً، يصعب عليه تجاوُز تبعاتها. ولا تقتصر التعقيدات أمامه على ذلك، بل تمتدّ إلى داخل المعسكر المؤيّد له أيضاً، حيث ثمّة مَن يتوق إلى إسقاطه، وازدادت شهيّته لذلك مع تعذُّر فوز نتنياهو بالأغلبية المطلقة. وفي مقدّمة هؤلاء رئيس حزب «يمينا»، الذي يدرك أن ائتلافه مع «بيبي»، حتى وإن كان ثمنه وزارة الأمن التي كانت مطلباً رئيساً له في حكومات سابقة، هو تذكرة سقوط له في أيّ انتخابات مقبلة، خاصة أنه يَطرح نفسه بديلاً لقيادة اليمين. وعليه، سيكون تنازُل بينت مُحرِّكاً لنتنياهو لإيذائه وتقويض مكانته عبر تهميشه والإضرار به، مهما كانت الحقيبة أو الحقائب التي سيمنحه إيّاها إن ائتلف معه. وتجربة وزارة الأمن، التي سعى إليها بينت كونها تُعزّز مكانته لدى اليمين، أضرّت به أكثر ممّا استفاد منها، بفعل نتنياهو نفسه، وهي نتيجة لا تغادر تفكيره، خاصة أن «الإنجازات» كانت تُسنَد إلى رئيس الوزراء، فيما الإخفاق يكون من نصيبه هو. وهذا أيضاً ما حصل مع غانتس، وقَبْله وزير الأمن السابق موشيه يعلون، وكلّ مَن

> مَن ينجح أوّلاً في تجنيد المؤيّدين للفوز بالتكليف، سيكون هو الفائز في المعركة الأولى

أفرغ نتنياهو منصبه من معناه. ومن هنا، لا يُستبعد أن يغادر رئيس «يمينا» معسكر نتنياهو إن وَجد عرضاً مناسباً في المعسكر المضادّ، شرط أن لا يكون مبنيّاً على الائتلاف أو المساندة من ممثّلي فلسطينيّي 48. على المقلب الثاني، حيث كتلة إسقاط نتنياهو (61 عضواً من بينها حصّة «الموحّدة»)، يبدو من المتعذّر على تلك الأحزاب الاتفاق في ما بينها، خصوصاً لوجود أحزاب اليمين التي تُمانع الائتلاف أو تلقّي المساعدة في إسقاط نتنياهو من أيٍّ من القائمتَين التابعتَين لفلسطينيّي 48، وفي مقدّمة أولئك الممانعين حزب «أمل جديد» برئاسة غدعون ساعر المنشقّ عن «الليكود»، وكذلك «إسرائيل بيتنا» برئاسة أفيغدور ليبرمان.

بالنتيجة، لا تشير التموضُعات السياسية، إلى الآن، إلى إمكانية تشكيل حكومة من أيٍّ من المعسكرين، لكن هل تحمل الأيام المقبلة تغييراً ما يؤدي إلى قلب النتيجة؟ الاحتمالات واردة، بل ومعقولة، وإن كانت غير واضحة إلى الآن. حتى الخامس من الشهر المقبل، سيسعى أقطاب المعسكرَين إلى تشكيلات ما تتيح لهما الفوز بالتكليف، بغضّ النظر عن مهمّة التأليف نفسها الأكثر تعقيداً. هذه هي الآن معركة نتنياهو، الذي يبدو، خلافاً للجولة الرابعة من الانتخابات، معنيّاً بأن يُكلَّف ابتداءً، ومن موقع التكليف تتاح له فرص تذليل العقبات، على رغم إدراكه صعوبة المهمّة. على أن هذا التكليف هو هدف معارضيه أيضاً، وفي المقدّمة أقواهم وأكثرهم تمثيلاً في «الكنيست» الجديد، رئيس حزب «يش عتيد» برئاسة وزير المالية السابق، يائير لابيد، الذي احتلّ المرتبة الثانية من حيث عدد المقاعد بـ17 مقعداً، بعد «الليكود» الذي نال 30 مقعداً.

على الهامش، ثمّة معركة، أو بالأحرى معارك سياسية، مرتبطة بالحكومة ومرحلة ما بعد النجاح أو الفشل في تأليفها، تماماً كما حصل في الجولات الانتخابية السابقة. وفي مقدّمة تلك المعارك رئاسة «الكنيست»، حيث تكمن جملة سيناريوات مفتاحية متّصلة بالتأليف والتكليف، وكذلك توزيع اللجان التي لبعضها ارتباط وثيق بمرحلة فشل التأليف، فضلاً عن مصير اقتراح ليبرمان العاجل، الذي يريد من خلاله منْع نتنياهو من التكليف فالتأليف، عبر سَنّ قانون يمنع أيّ متّهم بجرائم رشى وفساد من تولّي رئاسة الحكومة. وهو المقترح نفسه الذي سقط في الانتخابات الرابعة، بعد انشقاق حزب «أزرق أبيض» وانضمام المنشقّين برئاسة بني غانتس إلى ائتلاف نتنياهو.

مَن ينجح أوّلاً في تجنيد المؤيّدين للفوز بالتكليف، سيكون هو الفائز في المعركة الأولى بين المتنافسين، تمهيداً للمعركة الثانية والأصعب، المتمثّلة في تشكيل ائتلاف يحظى بالأغلبية المطلقة، من بين كيانات لا تتّفق في ما بينها لدى المعسكرين، وإن كانت الفرضيات النظرية تتحدّث من الآن عن انشقاقات، ثَبُت في الماضي أنها ممكنة عملياً (أزرق أبيض). حتى الخامس من نيسان/ أبريل المقبل، ستكون المعركة على كسب الأصوات في الاستشارات شبه الملزمة لدى الرئيس الإسرائيلي، رؤفين ريفلين، هي المُتقدِّمة على ما سواها في المشهد السياسي، الذي تتساوى فيه الاحتمالات بين النجاح في التوصُّل إلى حكومة ما تبدو صعبة التحقُّق وفق المعطيات الحالية، أو الذهاب إلى انتخابات خامسة.

حاز معسكر نتنياهو 59 مقعداً، أي دون الأغلبية المطلقة بمقعدَين (أف ب)

الحدث دشّنت صنعاء العام السابع من «الصمود» بعملية جوّية واسعة استهدفت عدّة مرافق لـ «أرامكو» في وقت واحد. عملية تنبئ، بحسب مصادر عسكرية، بأن «درّة التاج» السعودي ستكون على رأس قائمة أهداف الجيش و«اللجان الشعبية» هذا العام، حتى كسر الحصار على اليمن

صنعاء تدشّن العام السابع: «أرامكو» هدفاً أوّل

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

تحوّلت الذكرى السنوية للعدوان السعودي ـ الإماراتي على اليمن إلى يوم وطني يُحتفى به شعبياً، ليس تخليداً لذكرى الحرب التي تسبّبت بتفاقم أوضاع السواد الأعظم من أبناء هذا البلد، بل تعظيماً للتضحيات التي قدّمها هؤلاء في مختلف الجبهات العسكرية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية. صنعاء، التي كانت المحطّة الأولى لقصف الطيران السعودي صبيحة الـ26 من آذار/ مارس 2015، صارت اليوم في موقع متقدّم عسكرياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً، وتحوّلت في نظر اليمنيين إلى رمز للمقاومة والصمود. وعلى رغم تعرُّضها لعشرات الآلاف من الغارات الجوية خلال السنوات الفائتة، وإعلان حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، نقل العاصمة إلى مدينة عدن منتصف العام الأول من الحرب، لا تزال صنعاء مركز القرار السياسي والعسكري والاقتصادي المقاوم للعدوان والمواجه للحصار. وهي حقّقت، على مدى السنوات الستّ الماضية، نجاحات في مختلف جبهات المواجهة، لتُضحي نِداً قوياً للرياض.

يوم أمس، ومع دخول الساعات الأولى للذكرى السادسة للحرب، نُفّذت القوة الصاروخية ووحدة الطيران المُسيّر عملية هجومية واسعة ضدّ أهداف عسكرية واقتصادية في العمق السعودي، أكدت تغيُّر المعادلة الجوية خلال سنوات الحرب. العملية التي أطلق عليها «عملية اليوم الوطني للصمود»، نُفّذت بواسطة 18 طائرة مسيّرة و8 صواريخ باليستية، واستهدفت مقرّات شركة «أرامكو» في ينبع وجيزان ورأس تنورة، فضلاً عن قاعدة الملك عبد العزيز في الدمام، وفق ما بيّنه المتحدّث باسم الجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، العميد يحيى سريع. وأشار سريع إلى «استهداف مقرّات شركة أرامكو و12 طائرة مُسيّرة من نوع صماد 3، و8 صواريخ باليستية من طرازات ذو الفقار وبدر وسعير، واستهداف مواقع عسكرية أخرى في نجران وعسير بـ6 طائرات مُسيّرة من نوع قاصف 2». ووصفت مصادر عسكرية في صنعاء، في حديث إلى «الأخبار»، عملية الأمس بأنها «بمثابة تدشين عملي موجع للعام الجديد، الذي يواصل فيه الشعب اليمني معركته ضدّ العدوان من موقع متقدّم عسكرياً». وقالت المصادر إن العملية «تحمل أكثر من رسالة للسعودية ومَن يقف وراءها بأن صنعاء، ومن موقع القوة وليس الضعف، ستضرب الأهداف المدرجة في بنك الأهداف اليمني بشكل كامل، وعلى رأس تلك الأهداف شركة أرامكو بمرافقها كافة وخزاناتها الاحتياطية ومصافيها ومضخّات التحويل وحقول النفط التابعة لها من جيزان وحتى الدمام والظهران والغوار»، مؤكدة أن «الضربات الموجعة ستطاول كلّ مصالح السعودية في كلّ المحافظات».

شارك الآف اليمنيين في مسيرات شعبية في الذكرى السادسة للاندلاع الحرب (أ ف ب)

هذه الرسائل رافقها دعم شعبي كبير عبّرت عنه المسيرات الكبرى التي شهدتها، أمس، صنعاء والمحافظات الواقعة تحت سيطرة حكومة الإنقاذ. إذ أعلن عشرات الآلاف من اليمنيين، من ميدان مطار صنعاء المُغلَق لأكثر من خمس سنوات من قِبَل التحالف السعودي ـ الإماراتي، تأييدهم المضيّ في المعركة الدفاعية حتى إخراج الاحتلال الأجنبي، وهزْم ميليشياته. ورفض البيان السعودية في كلّ المحافظات».

مصر

استمرار إغلاق «السويس»: السيناريو الأسوأ يلوح في الأفق

دخلت قناة السويس يوم إغلاقها الثاني بشكل كامل، وسط توقّعات باستطالة فترة الإغلاق لأسابيع. يأتي ذلك فيما تُواجه عملية تعويم سفينة الحاويات الجانحة منذ الأربعاء الماضي، تعقيدات وصعوبات، بدأت تتسبّب بتراكُم الخسائر الاقتصادية التي تسري مخاوف من تعاظُمها في حال فشل طريقة التعويم الحالية

القاهرة ـ **الأخبار**

للمرّة الأولى منذ استئناف حركة الملاحة في أعقاب «حرب أكتوبر»، تتوقّف هذه الحركة في قناة السويس إلى أجل غير مسمّى، وسط مخاوف من طول فترة الإغلاق، ولا سيّما مع إخفاق المحاولات لتعويم سفينة الحاويات العملاقة «إيفر غرين» التي علقت في الممرّ الملاحي للقناة خلال رحلتها إلى هولندا. يأتي ذلك فيما تتواصل إدارة القناة، التي تشهد عبور 12% على الأقلّ من حجم التجارة العالمي سنوياً، مع كبرى الشركات المتخصّصة للإسراع في تعويم السفينة التي ترفع علم بنما، لإعادة فتح المجرى الملاحي. تقول التحقيقات الأوّلية إن السبب في جنوح السفينة العملاقة التي تُصنَّف واحدة من أكبر حاويات الشحن في العالم، قد يرجع إلى عطل في غرفة الكهرباء بالتزامن مع سرعة الرياح التي وصلت إلى 30 عقدة، وهي سرعة كبيرة سبق أن تسبّبت في عطل سفينة مشابهة العام الماضي، لكن جرى التعامل معها على نحو أفضل. ويعمل مسؤولو هيئة القناة على إزالة الطمي من حول السفينة وفق الإجراءات المتّبعة والمرتبطة بالابتعاد عن متنها حتى 10 أمتار، لتعتمد على انهيار الرمال على نحو يسمح بتحريك السفينة والسماح لها باستكمال سيرها في المجرى الملاحي، لكن الخوف هو من اللجوء إلى سيناريو يستغرق وقتاً أطول.

في حال إخفاق تعويم السفينة وتحريكها، ستضطر إدارة القناة إلى التعامل بطريقة مختلفة عبر تفريغ حمولة الوقود الموجودة فيها لتخفيف وزنها، وتفريغ بعض الحاويات الثقيلة التي تصل إلى أكثر من 20 ألف طن، في مهمة معقّدة، وخاصة أن موقع السفينة الحالي بعيد عن مناطق الخدمات، فضلاً عمّا يستلزمه ذلك من مجهود ووقت سيطيلان أمد إغلاق القناة التي يأمل القائمون عليها الإسراع في فتحها، بعدما تَكدّست السفن في الاتجاهين على أطرافها في انتظار استئناف الملاحة. والجدير ذكره، هنا، أن البديل من «السويس» (طريق رأس الرجاء الصالح) سيزيد مدّة الرحلات بواقع 15 يوماً.

ويبلغ طول السفينة 400 متر (علماً بأن عرض المجرى الملاحي هو 300 متر فقط)، وقد نُقل طاقمها إلى مكان آمن داخل مصر، فيما تُواصل الفرق المختصّة التعامل مع الآزمة، مع تقدير بأن خطأ بشرياً محتملاً تسبّب فيها، وسط زيادة العاصفة عن المعدّلات الطبيعية ومحاولة قائد الناقلة تعديل المسار. وعلى رغم إعلان مستشار رئيس الجمهورية لشؤون «السويس»، الفريق مهاب مميش، أن الملاحة ستُستأنف خلال يومين أو ثلاثة اعتباراً من أول من أمس، إلا أن الشركات الكبرى لم تُعوّل على تلك التصريحات، وخاصة أنها تفتقر إلى رؤية علمية. وثمّة آراء تقول إن طريقة تعويم السفينة في المحيط تتنافى مقتضياتها والمياه الضحلة الموجودة في القنوات، الأمر الذي يعني أن احتمالات إخفاق التعويم بالطريقة

> **قد لا يكون ممكناً تطبيق طريقة تعويم السفن في المحيطات على المياه الضحلة**

ثقة سيناريو ماسوي هو انقلاب البضائع.. ما سيستلزم اسابيع لمعالجة الكارثة إذا حدثت (أ ف ب)

الحالية تُعادل احتمالات النجاح.

في غضون ذلك، حوّلت أربع ناقلات غاز طريقها من «السويس» إلى رأس الرجاء الصالح، وهي تحمل شحنات من الولايات المتحدة وقطر، فيما تنتظر ستّ شحنات على جانب القناة كانت قد وصلت خلال اليومين الماضيين مع سفينة أخرى كانت عالقة منذ بداية الحادث، ما يعني أن الحادث سيطاول 16 سفينة غاز طبيعي مسال في حال استمرار إغلاق القناة إلى نهاية الأسبوع. وتشير التقديرات الاقتصادية إلى أن الإغلاق اليومي للقناة يتسبّب في تعطيل تسعة مليارات دولار من البضائع، وسط مخاوف من أزمات أخرى نتيجة طبيعة البضائع التي يجري نقلها والنقص المتوقّع فيها لمدّة تتراوح بين أسبوعين إلى ثلاثة على الأقلّ، هي مدة استخدام الطريق البديل. كما أن هيئة القناة أفادت بأن أكثر من 200 سفينة تنتظر العبور على جانبَي القناة.

وسرت مخاوف أوروبية، على وجه التحديد، من طول الإغلاق الذي سيُعطّل مصانع وشركات كبرى خاصة في المملكة المتحدة، فضلاً عن تأخُّر السلع التي كان يُفترض أن تصل بالفعل في مواعيد محدّدة سلفاً. وعلى رغم عروض المساعدات التي تلقّتها «السويس» من الولايات المتحدة ودول أوروبية، ووصول وفود أجنبية تضمّ استشاريين متخصّصين في التعامل مع هذا النوع من الحوادث، فإن جميع الحلول تدرس جيداً قبل اتخاذ القرار، وخاصة أن سيناريوات إخفاق التعويم للسفينة التي وصفتها الصحف العالمية بأنها «حوت ضخم على الشاطئ»، من بينها سيناريو ماسوي متمثل في انقلاب البضائع على سطحها، ما سيستلزم أسابيع لمعالجة الكارثة إذا وقعت.

اليمني للمقايضة السياسية أو العسكرية، مقابل استحقاقات إنسانية كالحصول على الوقود والدواء والغذاء»، مهيباً بالقوات المسلّحة «الردّ بالمثل واستهداف مطارات دول العدوان وموانئها، في ظلّ استمرار إغلاق مطار صنعاء الدولي وتعطيل ميناء الحديدة». وكشفت هذه المسيرات، التي شارك فيها الآلاف من العسكريين والمدنيين

> **أظهرت مسيرات الأمس اتّساع الحاضنة الشعبية لجبهة المواجهة**

الذين كانوا في صفوف قوات هادي وسلطته طيلة السنوات الماضية، اتّساع الجبهة الشعبية الوطنية المناهضة العدوان، والتي حاول «التحالف» تفكيكها عشرات المرات، بافتعال مشاكل داخلية أبرزها تلك التي سبقت مقتل الرئيس السابق، علي عبد الله صالح، أواخر عام 2017. وكان زعيم حركة «أنصار الله»، السيد عبد الملك الحوثي، أكد، في خطاب عشية الذكرى السادسة للعدوان أول من أمس، تلقّي الحركة «عروضاً أميركية وسعودية خلال الأيام الماضية، حاولت مقايضة الملف الإنساني باتفاقيات عسكرية وسياسية»، قائلاً: «(إننا) لا يمكن أن نوافق على ذلك». واشترط «وقف العدوان بشكل كامل، ورفع الحصار من دون أيّ استثناءات في الشمال والجنوب، وإقرار حق اليمن في التعويض عن كلّ ما دمره العدوان خلال السنوات الماضية وعن أضرار وتداعيات الحصار وفق القانون الدولي، وسحب القوات الغازية والمحتلّة كافة من أراضي البلاد كافة، كضرورة للسلام».

تقرير

بوادر أزمة مياه في الأردن: إسرائيل تدير الأذن الطرشاء

يتلكّأ بنيامين نتنياهو في الردّ على طلب عمّان المياه من تل أبيب، على رغم توصية المختصّين بالشأن المائي ومرجعيات في الأمن الإسرائيلي بالموافقة على ذلك. تصمّ يضيف سبباً جديداً إلى أسباب التوتّر بين الجانبين، في وقت لا يبدو فيه أن لدى الأردن الكثير من الأوراق للمساومة بها

عمّان ـ **الأخبار**

يشهد الأردن موسماً مطرياً سيّئاً لم يصل إلى معدّلات الهطل السنوية، ما سينعكس على الواقع المائي في المملكة، ولا سيما أن مخزون السدود لم يتخطّ نسبة 40% من سعتها، الأمر الذي يدقّ جرس إنذار يشي بصيف قاسٍ مائياً على الأردنيين. ويحتكم اللجوء الأردني إلى إسرائيل في طلب الماء إلى بنود اتفاقية «وادي عربة» وملاحقها المتعلّقة بالمياه. ومن المعروف أن المديونية المائية الأردنية لإسرائيل قائمة منذ سنوات، وخاصة إن أخذ في الاعتبار عجز عمّان عن الإيفاء بالكميات المطلوبة منها من نهر اليرموك مثلاً، أي من سدّ الوحدة. فبينما المطلوب توفير 25 مليون متر مكعّب سنوياً لإسرائيل، دخل إلى السدود 141.370 مليون متر مكعّب فقط حتى نهاية شباط/ فبراير الماضي، علماً بأن امتلاء السدود الأردنية كافة بسعتها الكاملة يغطّي ما نسبته 35% من احتياجات المملكة التي تربو على المليار سنوياً.

يكاد يكون الحديث عن المازق المائي أمراً متكرّراً، حتى إن الأمير حسن ذكره في رسالته الموجّهة إلى الداخل الإسرائيلي الشهر الماضي، ووصفه بـ«الهمّ المشترك» و«نقطة بداية للبدء مجدّداً في إيجاد السلام المرجوّ». أمّا الصحافة المحلية، فتتناول التقارير الإقليمية والدولية عمّا سيهدّد الأمن المائي الأردني خلال السنوات الخمس المقبلة، إذ تتوقّع كارثة مائية إن لم يتوفّر الوصول الآمن إلى مياه الشرب. وهو خطرٌ يلعب دوراً رئيسياً في توليده سياسة رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، الهادفة إلى ليّ ذراع الأردن، على رغم تعالي الأصوات في الدوائر السياسية والأمنية لإعطاء عمّان الاهتمام الكافي وعدم تجاوُزها في خضمّ الانفتاح على الخليجيين.

واضح أن عداء نتنياهو ـ عبد الله الثاني وصل إلى مرحلة المناكفة، بعد إلغاء زيارة ولي العهد، الأمير حسين، إلى القدس، ثمّ إيقاف الأردن رحلة نتنياهو، ولاحقاً طلب الأخير إقفال المجال الجوي أمام الطائرات القادمة والمغادرة من عمّان. لكن الحقيقة تؤكد امتلاك إسرائيل اليد العليا في السيطرة على الوضع، فيما لا يبدو أن حراسة الأردن

> **يتعامل نتنياهو مع عمّان بما يخالف التوصيات الأمنية والسياسية المُقدّمة له**

للحدود مع فلسطين المحتلة تقنع نتنياهو بتخفيف الضغط عن شريكه وتقديم يد المساعدة له في ملفّ «كورونا»، مثلاً، بتوفير اللقاحات... والآن، أزمة المياه. هنا، لا يخفى على أحد التجاهُل الإسرائيلي لمراسلات الأردن بخصوص استكمال مشروع «ناقل البحرين» (الأحمر ـ الميت)، إذ منذ حادثة السفارة التي راح ضحيّتها مواطنان أردنيان بنيران حارس أمن إسرائيلي يحمل صفة دبلوماسية، في تموز/ يوليو 2017، بات مستقبل هذا المشروع ضبابياً، بعدما نقلت الصحافة العبرية تجميد العمل فيه، ما دفع السلطات الأردنية إلى مخاطبة الخارجية الإسرائيلية وطلب ردّ رسمي لم يصل بعد.

في الصورة الأوسع، يبدو أن ما يدور في الجنوب السوري، حيث امتداد حوض اليرموك المشترك بين الأردن وسوريا، لا ينفصل عن الضغوط الأردنية في ملفّ المياه، مع التحرُّكات الجديدة لإبعاد

لم تبادر إسرائيل إلى أيّ مساعدة لشريكها القديم في ملف كورونا الذي فجّر الاحتجاجات (أ ف ب)

فضيحة في الإعلام المصري: ابتعاث «لوسي آرتين» جديدة

القاهرة ـ **الأخبار**

بعد أقلّ من عام على إصدار الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، تشكيل الهيئات الإعلامية والجدل الذي صاحب اختيار بعض الأعضاء، يبدو أن إعلام «المحروسة» قاب قوسين أو أدنى من فضيحة جديدة على غرار فضيحة «لوسي آرتين» التي أطاحت المشير أبو غزالة وعدد من كبار الشخصيات في تسعينيات القرن الماضي. المقارنة هذه المرّة، ليست من باب المبالغة، وخاصة أنّ مَن عقدها هو رئيس قسم الإذاعة والتلفزيون في كلية الإعلام في جامعة القاهرة، الدكتور أيمن منصور ندا، الذي فتح النار على المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، وهو بديل وزارة الإعلام بموجب الدستور.

ندا الذي انتقد سابقاً، في سلسلة مقالات، تغلغُل المخابرات في الإعلام، اختار الكشف عن جزء من شبكة علاقات المذيعة رانيا هاشم التي تشغل عضوية المجلس، وتُعدُّ الذراع اليمنى لرئيسه كرم جبر، الذي خرج بعد «ثورة 25 يناير» من رئاسة مجلس إدارة مؤسسة «روز اليوسف» ومنتقديها بالأحذية. أما سبب المقارنة التي عقدها أستاذ الإعلام، فهو نفوذ المذيعة الأربعينية ومساعيها إلى السيطرة على المشهد الإعلامي، التي وصلت إلى حدّ التلويح بقدرتها على إبعاد زملائها بحكم موقعها في المجلس رئيساً للجنة متابعة الحالة الإعلامية. هذه الإعلامية تُقدّم برنامجاً مرّتين أسبوعياً على شاشة «إكسترا نيوز» الإخبارية، وتوصف بأنها «مخبرة» على زملائها، كما تلعب دوراً مزدوجاً في نقل المعلومات وتبادلها، بل تنقل أحياناً إساءات سريّة عن زملائها إلى مرؤوسيهم لمصلحة القيادات، وذلك من أجل الحصول على رضاهم. ومع أن برنامجها لا يحظى بنسبة مشاهدة عالية، فإنها، بحكم علاقاتها، تحصل على راتب يفوق خمسة آلاف دولار شهرياً، وهو من أعلى الرواتب في القناة. مع ما سبق، توصف هاشم داخل «ماسبيرو» بأنها السيدة الأقوى التي تدير وتتحكّم في جميع الأمور والقرارات التي يتّخذها المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، على رغم حداثة عمرها وقلّة خبرتها. لكن قربها بشكل مبالغ فيه من رئيس المجلس ومرافقتها الدائمة له، جعلا نفوذها يتخطّى حدود عضوية المجلس. لكن الهدف الرئيسي ليس العمل وفق المهام، كما تنقل مصادر، بل من أجل استغلال شبكة علاقاتها المتشعّبة وتوظيفها بما يخدم أهدافها ويقصي معارضيها ومنتقديها أو مَن لا تشعر بالرضى عنهم، وهو أمر يتردّد منذ مدّة طويلة، ولا سيما مع كشفها بعض القرارات التي ستصدر قبل صدورها إلى موظفي مكتب رئيس الهيئة.

ندا، الذي اختير للعمل مع المجلس بنفسها والدفاع ضدّ الاتهامات التي تواجهها، أو حتى تردّ على اتهامات أستاذ الإعلام، بل فضّلت أن تستغل شبكة علاقاتها للدفاع عنها في محاولة أخيرة منها للبقاء.

لجأت رانيا، أو «لوسي آرتين» كما أصبحت توصف في الإعلام بعد مقالة ندا، إلى تقديم شكوى في المجلس القومي للمرأة بصفتها متضرّرة ممّا كتب عنها. كما دفعت رئيس المجلس، كرم جبر، إلى إصدار بيان يتضمّن تأكيداً بالتوجّه إلى النائب العام في بلاغ رسمي، جراء ما وصفه بـ«التجاوزات» التي قام بها أستاذ الإعلام بحقّ المجلس، من دون الإشارة إلى رانيا نفسها باعتبار أن المقالات السابقة حملت ما يمكن وصفه بـ«السب والقذف» لرئيس المجلس وأعضائه.

هذه المرّة، قرر المجلس التحرُّك قضائياً ضدّ أستاذ الإعلام، بعدما وضع يده على نقطة ضعفه، السيدة التي تأمر وتنهي وتمارس صلاحيات ليست من اختصاصها بل تتباهى بها في لقاءاتها، كما أنها تنفق من ميزانية المجلس بما يخدم مصالحها، وهو ما ظهر في الرحلات التي يجري تنظيمها في الفترة الأخيرة، وتكلّف خزانة المجلس. والسؤال: هل سيكون الإعلام المصري وكبار مسؤوليه على موعد مع فضيحة جديدة تشبه ما حدث مع لوسي آرتين، أم سيتم الاكتفاء بتهميش هاشم وإقصائها من المشهد؟

> **يبدو أن إعلام «المحروسة» قاب قوسين أو أدنى من فضيحة جديدة**

أكثر مما يجب، وهو ما أزعج جهات عدة متضايقة أساساً من النفوذ المتزايد لها، وخاصة أنه لم يتوقّف على رغم الرسائل غير المباشرة التي وصلتها في الأسابيع الماضية. مع ذلك، لم تستطع الظهور

تقرير

تنحاز مراجعة الدفاع البريطانية إلى أميركا في مواجهة «التحدّي المنهجي» الذي تُمثّله الصين (أ ف ب)

تتّجه النُخبة البريطانية إلى الانخراط في الحشد الأميركي الاستفزازي ضدّ الصين، كجزء من «حرب باردة» جديدة على العدو الاستراتيجي المُختار للولايات المتّحدة. توجُّهٌ ينطوي على مخاطر هائلة، لا على أمن العالم باسره ومستقبله فحسب، بل وعلى مصالح الشعب البريطاني نفسه الذي سيخسر فرص التعاون الاقتصادي مع بكين، كما مليارات الجنيهات الإسترلينية المأخوذة من جيوب الناخبين، لصالح إسراف عسكري لا يحتاجه أمن المملكة

توسيع الانتشار وزيادة الرؤوس النووية: بريطانيا تتقدَّم الجبهة الأميركية ضدّ الصين

لندن - **سعيد محمّد**

لم يعد سرّاً أن الأولوية المركزية في السياسة الخارجية للإدارة الأميركية في عهد الرئيس جو بايدن، ستكون إضعاف العملاق الصينيّ الصاعد عبر شنّ هجوم متعدّد الأوجه ضدّ بكين، يشمل تصعيداً عسكرياً واستخباراتياً واقتصادياً وشحناً أيديولوجياً، بغاية تحييد ما تُعتبر عريضة من حلفاء الولايات المتحدة، باعتبارها ركيزة أساسية لسياسة واشنطن الخارجية خلال العقد الحالي. جبهةٌ ستكون بريطانيا، كعادتها منذ الحرب العالمية الثانية، أوّل المسارعين إلى الانخراط فيها، وهو الأمر الذي تأكّد بعد نشر مراجعة للدفاع والسياسة الخارجية أجرتها حكومة حزب المحافظين عن دور بريطانيا في العالم (16 آذار/ مارس الحالي). وبحسب المراجعة، تظهر المملكة وكأنها جرم تابع للولايات المتحدة التي تصفها الوثيقة بأنها «أهمّ حليف استراتيجي»، وتنحاز إليها بالمطلق في مواجهة «التحدّي المنهجي» الذي تُمثّله الصين، والتهديد «العدائي» الروسي. وعلى رغم خطاب بوريس جونسون، التصالحي النغمة، الذي رافق نشر المراجعة، والذي حاول فيه توصيف مشاركة بريطانيا في الحرب الباردة الجديدة ضدّ الصين باعتبارها «استراتيجية تتعلّق بالمحيطين الهندي والهادئ»، ولا تتعارض مع السعي إلى بناء «علاقة اقتصادية

> **سيدفع قرار بريطانيا الصين وروسيا ودولاً أخرى إلى سباق تسلّح نووي لا يُعرف مداه**

قوية وإيجابية» مع بكين، فإن تلك الرسائل لم تُقرأ إيجابية لدى الصين، حيث تُدرس الأمور بروية وتمعّن، لتقود إلى خلاصة واحدة: بريطانيا تريد الحرب.

تتضمّن المراجعة المنشورة القرارات الأخيرة للحكومة بزيادة الإنفاق العسكري البريطاني إلى ما يصل إلى 24 مليار جنيه إسترليني على مدى السنوات الأربع المقبلة، وتعزيز وجود الجيش البريطاني حول العالم، ونشر حاملة الطائرات البريطانية الجديدة، «الملكة إليزابيث»، في بحر الصين الجنوبي اعتباراً من أيار/ مايو المقبل، إلى جانب قطع من الأسطول الأميركي مكلّفة بالقيام بجولات استفزازية قبالة سواحل الصين. لكن أخطر ما جاءت به المراجعة كان قرار حكومة حزب المحافظين التخلّي عن الالتزامات السابقة بخفض مخزون الأسلحة النووية في ترسانة لندن إلى 180 رأساً. وبدلاً من ذلك، فإن الخطة المعتمدة الآن هي زيادة تلك الرؤوس إلى 260 (بنسبة 40 في المئة) توازياً مع التصعيد الأميركي ضدّ الصين. وهو ما يتعارض حكماً مع التزامات بريطانيا القانونية بموجب «معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية»، التي صادقت عليها المملكة المتحدة في عام 1970، وتُلزم البُلدان التي لديها أسلحة نووية بتخفيض أعدادها. ويتطلّب الالتزام بهذه الخطط موافقة مجلس العموم البريطاني، لكن حزب المحافظين الحاكم يتمتّع بأغلبية مريحة في المجلس الحالي، ولا يحتاج عملياً إلى تأييد أيٍّ من الأحزاب الأخرى، بما فيها حزب «العمل». والأخير، الذين يسيطر على قيادته - بعد إسقاط جناح جيريمي كوربن - تيّار يقف على يمين المحافظين، كان أقصى ما فعله عند طرح مسألة زيادة الإنفاق العسكري للمناقشة، أن اعتبر الزيادة غير كافية، وتأتي متأخّرة بعد فوات الأوان. وتتقاطع سياسة حكومة المحافظين المناهضة للصين في المجال العسكري، مع الحظر المفروض على عملاق الاتصالات «هواوي» بناءً على رغبة واشنطن، والذي يعني تأخّر بريطانيا في الانتقال إلى الجيل الخامس من تكنولوجيا الاتصالات، وتحمُّل تكلفة أكبر من أجل ذلك.

ومن شأن تبنّي تلك الخطط والسياسات، التي تفوق حجم بريطانيا الحقيقيّ في العالم، إهدار مليارات الجنيهات من الخزينة العامة على بناء مزيد من الأسلحة النووية لدعم التموضع العسكري الأميركي في أعالي البحار، وهو ما قد يرتقي إلى جريمة حرب دولية، في وقت ترزح فيه الأكثرية في البلاد تحت الأعباء الثقيلة لجائحة «كوفيد - 19»، التي لا تزال أعداد ضحاياها في تزايُد، بعد تعدّيها الحاجز الرمزي لـ125,000 وفاة خلال سنة واحدة. كذلك، ثمّة حاجة ماسّة إلى محاربة الفقر المتّسع، والصفوف التي تمتدّ لكيلومترات من المنتظرين أمام بنوك الطعام الخيرية للحصول ما يسدّ رمقهم، وإطعام أطفالهم الذين لا يحصلون على غذاء كافٍ إلى درجة اضطرت «منظّمة الأمم المتحدة لرعاية الأطفال» (يونيسيف) للتدخّل لمساعدتهم، وخلق ملايين فرص العمل بدل تلك التي فُقدت خلال فترات الإغلاق، وتمويل الخدمات العامة المتردّية مقارنةً بدول الجوار، ومعالجة متطلّبات التحوّل من الاعتماد على الوقود الأحفوري إلى مصادر الطاقة البديلة، وغيرها من الأولويات الكثيرة التي لم تَعُد ترفاً، ناهيك بالطبع عن التعامل مع انعكاسات القرار المتهوّر بترك عضوية الاتحاد الأوروبي مع بداية العام الحالي، والمتوقّع أن يصيب المملكة بركود اقتصادي وأزمات إمداد لسنوات مقبلة على الأقلّ.

ولا يقتصر الأمر على ذلك بالطبع، فبريطانيا التي تحتاج إلى بناء علاقات تبادُل تجاري مع الاقتصادات العالمية لتعويض ما ستفقده نتيجة اصطفافها خارج التكتّل الأوروبي، ستخسر بانحيازها إلى السياسات العدوانية للولايات المتحدة شركاء هامّين جدّاً في مستوى الصين - ثاني أهمّ اقتصاد في العالم -، وبدرجة ثانية روسيا الثريّة، فيما لا ضمانات أميركية بمنح «الإمبراطورية العجوز» أيّ أولوية في العلاقات الاقتصادية، وسيحتاج توقيع اتفاقية للشراكة التجارية مع الولايات المتحدة إلى عدّة سنوات على أحسن تقدير. وهذا ما سيُترجَم بضياع فرص تجارية هائلة وتبخّر آلاف الوظائف الممكنة، في حين سيترك الباب مشرّعاً أمام حلول قوى دولية أخرى محلّ بريطانيا، صاحبة الكعكة الصغيرة من التجارة العالمية.

على المستوى الدولي، سيدفع قرار بريطانيا دعم التوجّهات الأميركية العدوانية، الصين وروسيا ودولاً أخرى - ربّما في الاتحاد الأوروبي أيضاً -، إلى سباق تسلّح نووي لا يُعرف مداه. وهو ما يثبت، مجدّداً، ازدواجية معايير الديموقراطيات الغربية الماضية في حصارها لإيران وكوريا الشمالية وكوبا وفنزويلا لحرمانها من تطوير الطاقة النووية السلمية، ويُدخل شعوب العالم الكبرى في متاهات الحروب، في وقت تتضاعف فيه الحاجة إلى التعاون عبر الحدود لمواجهة مجموع الكوارث المحدقة بالبشر، من أوبئة وتلوُّث وتغيُّر مناخي ومخاطر نووية.

وفيات

بعميق الحزن والأسى والرضى بإرادة الله ومشيئته نَنعى إليكم فقيدتنا الغالية المغفور لها بإذن الله تعالى المرحومة

الحاجة عائدة محي الدين العتر (أم علي)

زوجة صلاح الدين حيدر أحمد
أبناؤها علي وباسم وغسان
أحفادها صلاح وريم وهادي ورامي حيدر أحمد
أشقاؤها عثمان و عصام وعفت العتر

صُلي على جثمانها الطاهر في باحة مدافن الباشورة أمس الجمعة 26 آذار 2021 ووريت في ثرى مدافن الباشورة

يتقبّل أهل الفقيدة التعازي على الرقمين التاليين:
أبو علي : 03/627233
ابنها غسان : 03/705177
الأسفون آل العتر وحيدر أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم
(يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)
بمزيد من الرضى والتسليم بمشيئة الله ننعى إليكم المرحومة

الحاجة زينب حيدر حسن

زوجها: الحاج علي محمد علي مرعي حيدر أحمد
أبناؤها: حسين، حسن، محمد.
بناتها: غادة زوجة علي حسن
إلهام زوجة حسن حيدر أحمد
هيام زوجة حسين حيدر
شقيقها: المرحوم حسن حسن وشقيقها محمد حسن
ستوارى في ثرى جبانة بلدتها علمات - الشمالية غداً السبت الواقع فيه 27 آذار 2021 (14 شعبان 1442) الساعة 11 صباحاً
بسبب جائحة كورونا نتقبل التعازي عبر الهاتف
زوجها الحاج علي حيدر أحمد 03505320
ابنها حسين: 03365768
ابنها حسن: 03406169
ابنها محمد: 70325599
صهرها حسن منير حيدر أحمد: 03078405
صهرها علي حسن: 71685154
الأسفون: آل حيدر أحمد وآل حسن وعموم أهالي بلدتي عربصاليم وعلمات

إنا لله وإنا إليه راجعون
آل دلول وآل الحسيني
ينعون إليكم فقيدهم الغالي

الدكتور رمزي عطا دلول

ولداه الدكتور باسل دلول
السيد عمرو دلول وزوجته وأولاده
أشقاؤه: المرحوم فخري وأولاده
المرحوم فاروق وزوجته وأولاده
المرحوم أسامة وأولاده
صلّي على جثمانه الطاهر ووري في الثرى في لندن.
ونظراً إلى الظروف الصحية التي تمر بها البلاد، للتعازي الرجاء الاتصال على الرقمين التاليين أو على مواقع التواصل الاجتماعي:
الدكتور باسل دلول
009613790088
السيد عمرو دلول
00447738200200

شكر على تعزية

تتقدّم عائلة فقيد الجهاد والمقاومة

المرحوم الشيخ علي حسين قانصوه

بجزيل الشكر والعرفان والامتنان من كلّ من واساها بمُصابها الجَلل بفقيدها، ولا سيّما أهل المقاومة والسادة العلماء والنوّاب والفعّاليات الحزبية والسياسية والبلدية والمخاتير، سواء عبر الحضور الشخصي أو التواصل، سائلةً المولى عزّ وجلّ ألّا يُصيبهم بمكروه وألّا يفجعهم بعزيز.

مطلوب

مطلوب لشركة تجليد كتب - طريق المطار عمال وعاملات للمراجعة 01-455000

إعلانات رسمية

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب أحمد غصوب محمد شفيق الكنج بصفته احد ورثة محمد شفيق مصطفى الكنج شهادة قيد بدل ضائع بحصته بالعقار 37 مجدلا.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب حسين محمد قدور بوكالته عن قاسم محمد قاسم سند بدل ضائع بحصته بالعقار 57 العمارة.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلبت المحامية ندى حسين عبد القادر بوكالتها عن ابراهيم مطانيوس عبدالله بصفته احد ورثة طانيوس يوسف عبدالله شهادة قيد بدل ضائع للعقار 2434 القبيات.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب بيار انطوان الجعيتاني بوكالته عن انطوان الياس الجعيتاني بصفته أحد ورثة كوكب خليل عبد المسيح الوارثة من خليل الياس عبد المسيح سندات بدل ضائع للعقارات 746 و747 تكريت و227 و230 و606 و771 و976 و1527 و1558 بيت ملات.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب دافيد يونان سمعان بوكالته عن مريم مالك ماضي الوارثة من بديعة طنّسي ماضي الوارثة من غالية جرجس ماضي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 265 عرقه.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلبت ليلى إسبر الديب بوكالتها عن فاطمة صبحي الحسن بصفتها أحد ورثة صبحي حسن العوض كما طلب درغام إسبر الديب بوكالته عن إسبر جرجس ابراهيم يوسف بصفته احد ورثة جرجس ابراهيم يوسف ابراهيم سندات بدل ضائع بحصصهم بالعقارين377 و378 شدرا مشتى حسن - مشتى حمود.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
لأمانة السجل العقاري في عكار طلب خالد حسن السعيد سند بدل ضائع بحصته بالعقار 617 شدرا مشتى حسن - مشتى حمود.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب محمد أحمد العلي بوكالته عن خالد غسان سقر شهادة قيد بدل ضائع للعقار 121 قشلق.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب عماد مصطفى مطر بوكالته عن مصطفى أحمد ملص سند بدل ضائع في العقار 2463 المنية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلبت نابغة حسين الحولي بالأصالة عن نفسها سند بدل ضائع في العقار 7/6804 زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

استراحة

كلمات متقاطعة 3702

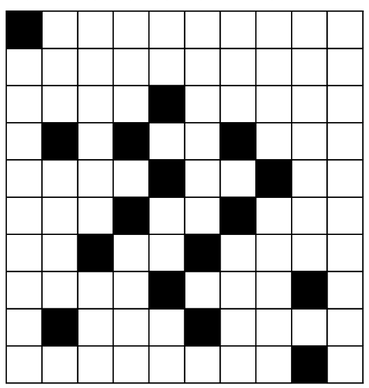

افقيا

1- رخالة إيطالي – 2- رئيس لبناني راحل – 3- خيولي – عاصمة بنغلادش – 4- فجّر الماء – إسم موصول – 5- أصل البناء – ماركة صابون – مسرح ترفيهي تتواجد فيه الحيوانات – 6- نجاح – مرتفع من الأرض – مدينة مغربية – 7- جفاف العشب – ود – لعن وشتم – 8- إقليم في وسط السعودية – مغنيّة ومُمثلة مصرية – 9- منظمة حلف شمال الأطلسي – مدينة سويسرية – 10- جنرال فرنسي خلال الإنتداب

عمودياً

1- ممثل لبناني راحل – 2- الذكر من النحل – 3- قاعدة جوية لبنانية – جزيرة يونانية – 4- قارب الفعل ولم يفعل – معتقلات – 5- جميلات – 6- سنوّر – لاصق النسب – بواسطتي – 7- من أسماء الأسد – عاصمة جمهورية التشيك – 8- أرخبيل هندي في بحر عُمان – أغنية لوديع الصافي – 9- أسبوع بالأجنبية – غير ناجح في الإمتحان – 10- إتفاقية بين فرنسا وبريطانيا بمصادقة من الأمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بعد الحرب العالمية الأولى

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- جورج باتون – 2- مرجان – لف – 3- أمازون – اسو – 4- سونار – برّ – 5- بيان – موضعي – 6- انت – كوما – 7- شقّ – السادات – 8- حلف – لي – 9- كان – ميرفت – 10- بيروت – ايلو

عمودياً

1- جمال باشا – 2- ورم – ينق – كي – 3- رجاسات – حار – 4- جازون – النوّ – 5- بنون – كلف – 6- ناموس – 7- تل – رومانيا – 8- وفا – ضاد – ري – 9- سبع – الفل – 10- جوزيف تيتو

sudoku 3702

6		5		8		2		
				4		6	3	
1		2		5		9	8	4
5			4					8
	9		2				5	
			1	5		7		
				7	6	5		9
4		7			1	3		6
						4		7

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3701

7	9	3	5	6	1	2	4	8
4	6	2	7	8	3	5	1	9
5	1	8	4	9	2	3	6	7
6	5	4	8	2	9	1	7	3
1	8	7	3	4	6	9	5	2
2	3	9	1	5	7	4	8	6
3	7	5	9	1	8	6	2	4
9	4	6	2	7	5	8	3	1
8	2	1	6	3	4	7	9	5

مشاهير 3702

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

باحث لبناني في التاريخ في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات والمدير العلمي للإصدارات. من مؤلفاته «الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين»

7+6+8+9+10 = غليان بركاني ■ 1+2+3+4 = ذو جاه وسلطة ■ 5+11 = حرف نصب

حل الشبكة الماضية: **كلارا بولتزك**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 آذار 2021 العدد 4305

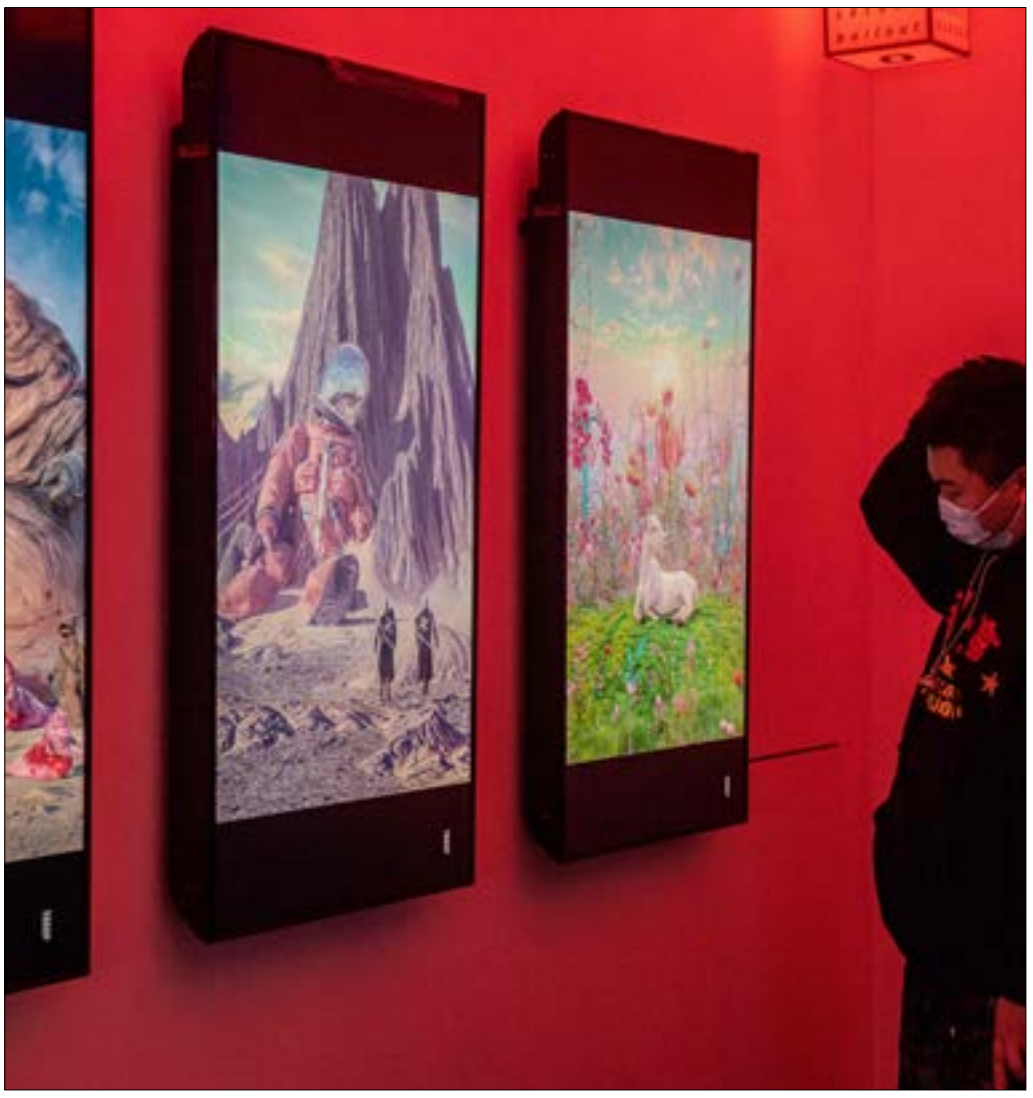

صورة وخبر

أمس الجمعة، بدأ معرض Virtual Niche: Have You Ever Seen Memes in the Mirror استقبال الزوّار في UCCA Lab في بكين، وهي منصّة متعدّدة التخصّصات في أحد أبرز المتاحف الصينية، حيث يبقى لغاية 4 نيسان (أبريل) المقبل، قبل أن ينتقل إلى شنغهاي بين 9 و11 من الشهر نفسه. يهدف المعرض إلى ربط المجتمعات الفنية في البلاد وتكنولوجيا blockchain (سلسلة الكتل ــ قاعدة بيانات موزّعة تمتاز بقدرتها على إدارة قائمة متزايدة باستمرار من السجلّات المُسمّاة كُتلاً)، من خلال إظهار الاستخدام الفني لـ blockchain في الإبداع الفني وخلق حوار بين عالَمَي الفن التقليدي والـ Crypto Art. (نيكولاس عصفوري ــ أ ف ب)

احتفالية افتراضية في يومه العالمي

بيروت تقاوم بالمسرح

«في يوم المسرح العالمي، أتوق إلى الجماعة وأجوع إلى الحوار. نعم إلى جمهرة الجمهور والتجمّع. أحلم أن نلتقي جميعاً ونتحاور ويقف الفنانون على الخشبة ويطرحون الأسئلة، وبعض الأحيان الأجوبة. ويصفّق الجمهور. لكن لقد انتهى فعل الجمع، وليس هناك إلا السماء الملبّدة بالغيوم الرمادية. في هذا الظلام الدامس الذي لا بصيص نور فيه... نعيش!». هكذا، بدأت نضال الأشقر كلمتها الخاصة بيوم المسرح العالمي الذي يصادف اليوم السبت.

ولأنّنا مرغمون على الاستمرار و«محكومون بالأمل» (كما قال الراحل سعد الله ونّوس)، قرّرت «سيّدة المسرح اللبناني» أن تحتفل بهذه المناسبة، ولو افتراضياً، بهدف التأكيد أنّ المسرح ليس ترفاً بالنسبة إلى الشعوب، بل هو من مقوّمات الدولة المدنية وحياة الإنسان، لكي يتمكّن من الحلم والعيش، و«لا نستطيع أن نتخلّى عنه لأنّه أبو الفنون»، بحسب ما تقول في اتصال مع «الأخبار». وتضيف: «نريد التشديد على أنّ المسرح لا يزال موجوداً رغم كلّ شيء».

نضال الأشقر في مشهد من «الواوية» (2013 ـ ترجمة وإعداد إيلي اضباشي، اقتباس وإخراج ناجي صوراتي عن نصّ «الأم كوراج» لبرتولد بريشت)

وفيما ترزح الفنون جميعها، وخصوصاً المسرح، تحت وطأة جائحة كورونا، يعيش لبنان واقعاً أكثر بؤساً. فإلى جانب الأزمة الصحية العالمية، يواجه اللبنانيون أوضاعاً اقتصادية ومعيشية واجتماعية وسياسية مزرية، فضلاً عن تبعات كارثة انفجار مرفأ بيروت في 4 آب (أغسطس) 2020.

ترى نضال الأشقر أنّ كلّ هذه العوامل تصعّب ممارسة فن المسرح، الذي يعدّ أساساً «فعل جماعة». ففي هذا الوقت «الأسوأ في تاريخ لبنان»، يصبح العمل على الخشبة شبه مستحيل، غير أنّنا «صامدون».

هكذا، سينشر «مسرح المدينة» رابطاً على صفحته الرسمية على فيسبوك لمشاهدة عرض احتفالي (60 د ـ عبر فيسبوك ويوتيوب) يضم شهادات من مسرحيين من لبنان وخارجه. في هذا السياق، توضح الأشقر أنّه «طلبنا من بعض الأصدقاء إرسال فيديوات، ستكون متوافرة للمشاهدة خلال ساعات»، مؤكدةً أنّه في ظلّ كلّ الظلام الذي يسوّرنا «نحن سعداء بأنّ العاملين في مسرح المدينة منذ 26 عاماً، لا يزالون فيه. لم يتخلّوا عنه ولم يتخلّ عنهم».

إضافة إلى نضال الأشقر، تضم قائمة المشاركين كلّاً من: إيتيل عدنان، سيمون فتال، داكلان دونلان، جاهدة وهبة، جوديث غرينوود، خالد العبد الله، حنان قصاب حسن، شاجي كاريات، رندا الأسمر، غادة غانم، سايمون ستيفانز، ماري الياس، فؤاد نعيم، شكسبير أوكوني، جان دانيال منيان، روجيه عازار، سوسن شوربا، نقولا دانيال، راكيل كاستيل، خالد الرويعي، فرقة «إيكاروس» للفنون المسرحية، الراحل سعد الله ونّوس، فرقة «قرايبنا» وبيار أبي صعب.

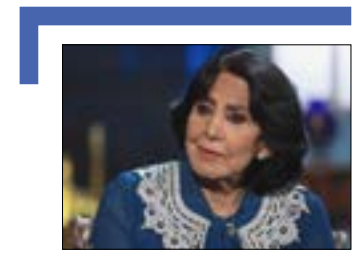

سيدة المسرح العراقيّ في «بيت القصيد»

في يوم المسرح العالمي، يستضيف الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي، اليوم السبت، «سيدة المسرح العراقي» فاطمة الربيعي (الصورة). في برنامج «بيت القصيد» (الميادين)، تحكي الربيعي عن تجربتها الطويلة في المسرح والسينما والتلفزيون، وعن انتقالها إلى بغداد وعلاقتها ببلدها، وذكرياتها مع الأمكنة الأثيرة لنفسها وخصوصاً شارع الرشيد، متناولةً أدوارها المنوّعة، وكيف استطاعت كسر نمطية دور الأم. كما تتطرّق إلى علاقتها الفنية والأسرية بزوجها المخرج محمد شكري جميل، وبشقيقتها الممثلة زهرة الربيعي، فضلاً عن أهمية المسرح ودوره في الحياة العامة، ونظرتها إلى راهن المسرح والدراما التلفزيونية العراقية، وعلاقتها بالشّعر والأدب...

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ س: 21:00 على «الميادين»

اللي بتحبّو فيلمون ... الموعد قريب

تحت عنوان «كشّو الدجاج»، يقدّم «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت)، في الثالث من نيسان (أبريل) المقبل، عرضاً غنائياً كوميدياً يستعيد أبرز الأغاني الساخرة التي كتبها، غنّاها ولحّنها الفنان اللبناني الراحل فيلمون وهبي (1918 ـ 1985/ الصورة). يضم برنامج السهرة أعمالاً من بينها «كلاشنكوف»، «اللي بتحبو لطيفة»، «سنفريان» وغيرها. إلى جانب سماح بو المنى (غناء)، تشارك في الموعد المرتقب فرقة موسيقية مصغّرة مؤلّفة من العازفين: مكرم بو الحسن (باص)، جورج الشيخ (ناي)، ضياء حمزة (أكورديون، كيبورد وهرمونيكا)، أحمد الخطيب (إيقاع) وبهاء ضو (إيقاع).

«كشّو الدجاج»: السبت 3 نيسان ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

السهرة مع كارافاجيو: واقعيّة وايروسية

بالشراكة مع المعهد الثقافي الإيطالي، يقيم «مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية» سهرة مخصّصة للرسّام الإيطالي الرائد كارافاجيو (1571 ـ 1610) الذي ألهم عصر الباروك، وأسّس للفن الحديث. غداً الأحد، تنطلق السهرة عبر «زوم»، بعرض فيلم «كارافاجيو» (23 دقيقة ـ 2020) الذي يستعرض فيه المؤرخ الفني فنسان كارتوفيلس مسيرة كارافاجيو، إلى جانب معاركه الجريئة. يلي ذلك عرض مسرحي مصوّر لـ «أنا كارافاجيو» (70 د ـ 2017 ـ كتبها سيزار كابيتاني عن كتاب لدومينيك فرنانديز). المسرحية عبارة عن بورتريه للرسام الذي دخل التاريخ بواقعية وايروسية لوحاته. يلي العرض نقاش مع فنسان كارتوفيلس وسيزار كابيتاني بإدارة جمانة رزق.

سهرة كارافاجيو: غداً الأحد ـ بدءاً من الساعة السادسة مساءً ـ «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا)

الأخبار
al-akhbar

السبت 27 آذار 2021
العدد 4305 السنة الخامسة عشرة
Samedi 27 Mars 2021 nº 4305 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فاطمة المحسن

سيرة في مهبّ المنفى

قبل الشروع في كتابة فصول من حياتها ورحلاتها «الناقصة»، جالت الناقدة العراقية فاطمة المحسن طويلاً في العراق، وفي تاريخه الأدبي ونهضته وحركاته الحديثة. عادت إلى التحوّلات الثقافية الأولى في بلادها، في قراءة نقدية لمفهوم الارتقاء المديني أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إضافة إلى البحث في صراع القيم القديمة وتجليّاتها الحديثة. فعلت ذلك، كمحاولة لرسم ملامح ذلك العصر الصاخب بالتساؤلات الذي ظلّ في مرحلة التشكّل، في كتابها القيّم «تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث» (2010 – منشورات الجمل). بعد أربع سنوات، مدّت أوصال تطلعات النهضة العراقية بحركات الحداثة المحليّة وطموحاتها في كتابها «تمثّلات الحداثة في ثقافة العراق» (2014 - الجمل)، كمن يحاول لمّ شتات الأوساط الثقافية العراقية التي تبعثرت بسبب المنافي والتاريخ السياسي للبلاد. أسماء وصور، وتيّارات فنيّة وتشكيلية وثقافية احتلّت مؤلّفاتها التي استعادت ووثّقت فيها لروّاد الفن والأدب الحديث في منحوتات جواد سليم، وقصائد السيّاب، والبياتي، والريادة الفنية التي ظهرت مع «جماعة بغداد للفن الحديث» (1951)، انطلاقاً من نقاش الأصالة وهموم البحث عن الهويّة الجماعية في الميثولوجيا والإرث الجمالي الإسلامي، وفي التفاعل مع المدارس العالمية والغربية الحديثة. الكتابان توّجا تجربة طويلة للمحسن في الكتابة النقدية في الصحف العراقية والعربية، ورسّخا ابتعادها عن الكتابة الأدبية التي كان لها فيها مساهمات خجولة، بنشرها عدداً من القصص القصيرة في تلك الصحف. الكاتبة العراقيّة التي التحقت بالعمل السياسي، وكتبت في «طريق الشعب»، جريدة «الحزب الشيوعي العراقي» مع الشاعر العراقي سعدي يوسف، كان مصيرها المنفى كسواها من المثقّفين العراقيين، الشيوعيين تحديداً ممن قوبلوا بحملات الترهيب والتنكيل من قبل نظام البعث. هكذا أمضت 20 يوماً في المعتقل، قبل أن تجد طريقها هرباً إلى بيروت. محطّات تتناولها سيرتها «الرحلة الناقصة» التي ستصدر طبعتها الثانية قريباً عن «منشورات الجمل»، بعدما كانت قد صدرت نهاية العام الماضي عن «دار المدى». تحمل السيرة الشاملة ملامح أجيال وأسفار مختلفة، وومضات من تاريخ العراق الأدبي والثقافي، خصوصاً في المنفى الذي كانت قد خصّصت مؤلّفاً لكتّابه العراقيين في عملها «أدب المنفى –قراءة في الأدبيات العراقية» (2018). المنفى له حصّة كبيرة في سيرتها أيضاً. هناك محطّات مفصّلة عن المدن التي تنقّلت فيها، مثل بغداد والناصريّة وبيروت التي كانت محطّتها الأولى خارج العراق. في مقاهيها وبين مثقّفيها، عاشت المحسن في العاصمة اللبنانية حرّية استثنائية كامرأة، كما عملت في الصحف الفلسطينية الصادرة فيها إلى جانب عدد من الكتاب العراقيين. انتقلت بعدها إلى بودابست التي نالت فيها شهادة الدكتوراه عن رسالة كتبتها عن التجديد في شعر سعدي يوسف، لتعود إلى دمشق حيث عملت كمحرّرة في مجلّة «الحرية». كل هذه الأيّام والأسفار الفردية، تقلّبها المحسن إلى وثائق وشهادات ثقافيّة جماعيّة، تتجاوز العراق، لتطال المشهد الثقافي العربي ووجوهه؛ إذ إن المحسن التي آثرت الابتعاد عن الكتابة الأدبية في تجربتها الكتابية، لا تتخلّى هنا عن عينها النقدية حتى لدى استعادة ذكرياتها الشخصيّة. تفسح مجالاً للشعراء العراقيين، وتجاربهم، ولشخصياتهم وعلاقاتهم من خلال ملاحظات فردية على هامش تلك التجارب، مثل بلند الحيدري، ويوسف الصائغ، وسركَون بولص، وفاضل العزاوي وآخرين. داخل رقعة الكتاب، تنتقل المحسن بسرد رشيق بين الأمكنة والذكريات وتجارب الكتّاب العرب أيضاً أمثال عبد الرحمن منيف وغالب هلسا وزينب الأعوج، إضافة إلى زوجها وشريكها الراحل فالح عبد الجبار الذي تهديه الكتاب، وتستعيد أيامها معه، خصوصاً خلال إقامتهما الأخيرة في لندن.

حوار

خالد الجبيلي: الترجمة تُنعش اللغة وتضخّ فيها روحاً جديدة

ورث خالد الجبيلي الترجمة عن والده. قد تبدو هذه الجملة غريبة، لكنها حقيقية. فالأب كان بالفعل مترجماً وشغوفاً باللغات. عمل مدرساً للغتين الإنكليزية والفرنسية. وأثر في ابنه الذي أحبّ اللغتين معاً ودرسهما، ليتخصّص لاحقاً في الترجمة عن الإنكليزية. كانت تلك اللغة هي أداته المهنية، اشتغل بها مترجماً في مجالَي الزراعة والقانون، لكنه كان يحس بأن المترجم لا يصير مترجماً حقيقياً، إلا إذا شرع في ترجمة الأدب. حبّه الطفولي للكتابة وأثر والده دفعاه باكراً إلى تجريب الترجمة الأدبية، فكان أول عمل نقله وهو طالب في الجامعة هو «مزرعة الحيوان». ويبدو أنّ المصادفة التي قادته لجورج أورويل، جعلته يسعى باستمرار إلى أن يترجم لأسماء من المقام ذاته: نيكوس كازانتزاكيس، البرتو مورافيا، هنري ميللر، سلمان رشدي، كارلوس فوينتيس، فيليب روث، خوسيه ساراماغو، جون ماكسويل كويتزي، جونيشيرو تانازاكي وغيرهم. استطاع خالد الجبيلي أن يخلق قاعدة كبيرة من قرّاء الأدب الذين يصلون إلى النصوص العالمية عبر وساطة اللغة العربية. وصار كثير منهم يقتنون الكتاب لأن مترجمه هو خالد الجبيلي. للرجل فلسفته في الترجمة، غالبية ترجماته الأدبية مبنية على مزاج فردي، أو على توافق بين خيار الناشر وذوق المترجم. من فلسفته أيضاً الهروب من اللغة المقعّرة والميل إلى لغة قريبة من قلوب القراء ومن عقولهم في الآن ذاته. يؤمن بأن وظيفة المترجم هي أن ينقل الأثر الأدبي إلى قارئ العربية على نحو يجعله يحب هذا الأدب من جهة ويحب لغته العربية من جهة أخرى. ولد خالد الجبيلي سنة 1953، حصل على الإجازة في اللغة الإنكليزية من جامعة حلب سنة 1976، وعلى دبلوم في الترجمة من الجامعة ذاتها سنة 1986. اشتغل مترجماً تحريرياً وفورياً في «المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة»، قبل أن يلتحق بأميركا ليقيم هناك ويعمل مترجماً ومراجعاً في دائرة الترجمة في الأمم المتحدة في نيويورك. في هذا الحوار، نفتح الكثير من قضايا الترجمة، ونسأله أيضاً عن سرّ ميله إلى ترجمة الرواية على حساب أجناس كتابية أخرى، وعن الترجمة عبر لغة وسيطة، وعن حضور الأدب العربي في أميركا وحضور الأدب الأميركي في العالم العربي، ونحاول أن نعرف معه إن كان يقوم بتجميل النصوص التي يترجمها وكيف يقرأ طغيان الروح التجارية في مجال الترجمة، كما نتعقب مساره منذ البدايات، ونستطلع رأيه بخصوص حاضر الترجمة ومستقبلها في العالم العربي

تقديم وحوار **عبد الرحيم الخصار**

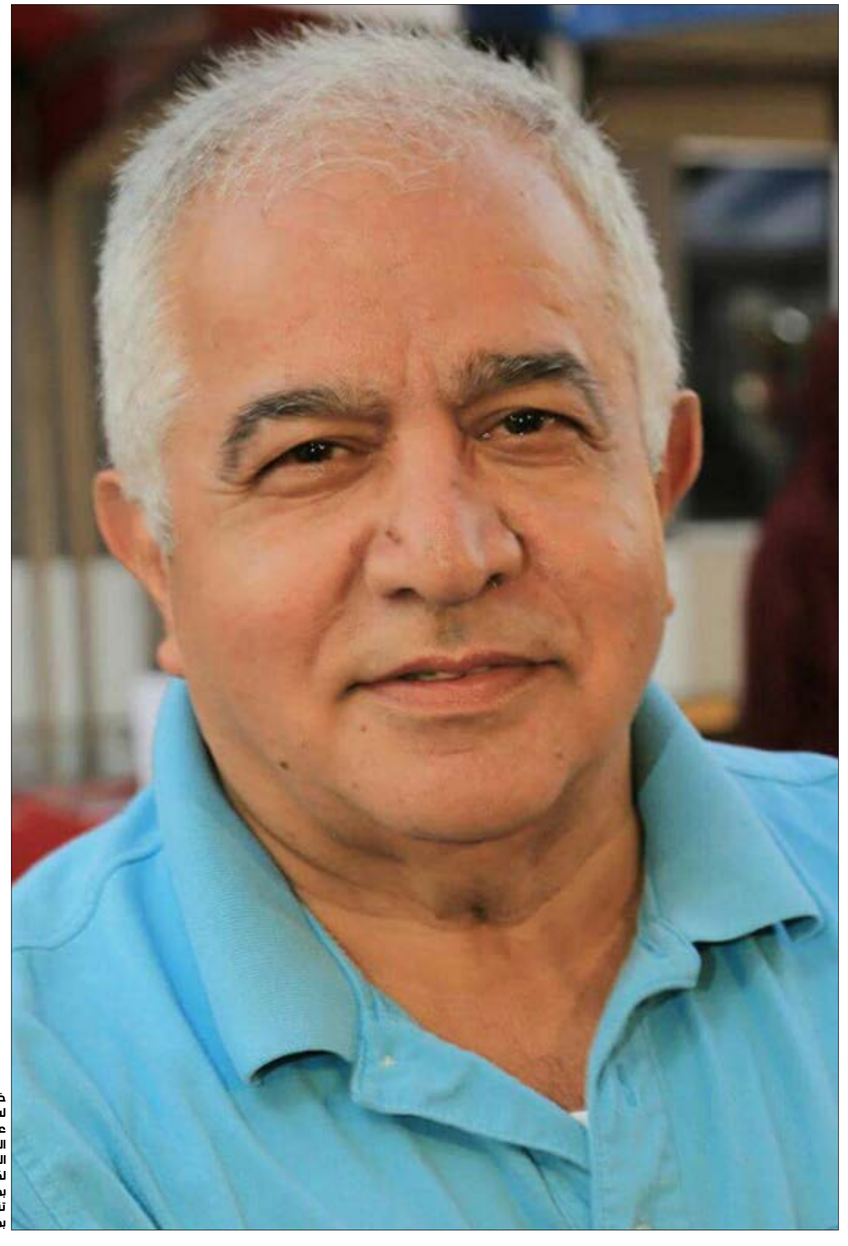

خالد الجبيلي: لست راضياً عن واقع الترجمة في العالم العربي لكنني متفائل بمستقبلها مع تزايد الاهتمام بها

■ ترجمتَ أكثر من سبعين كتاباً. كيف تنظر إلى هذا الرقم؟ وهل تحسّ بأن خالد الجبيلي يحظى بالمكانة التي يستحقّها في العالم العربي؟

- في جعبتي الآن أكثر من سبعين كتاباً مترجماً، بالإضافة إلى عدد من القصص القصيرة التي نُشرت في مواقع أدبية على الإنترنت. عندما أنظر إلى ذلك، فإني أشعر بالفخر والسعادة، حتى إنني أفاجأ أحياناً من نفسي بأنني استطعت أن أنجز كلّ ذلك. لا أعرف تماماً إن كنت أحظى بالمكانة التي أستحقها فعلاً في العالم العربي، لكن عندما يعبّر لي عدد كبير من القراء من جميع البلدان العربية عن إعجابهم وثقتهم بكلّ ما أترجمه، فإني أشعر بالسعادة وأدرك أنّ ما قمت به طوال تلك السنين كان مجدياً، وأنه كان مفيداً وممتعاً لشريحة واسعة من القارئين، وأعتبر ذلك الجائزة الكبرى التي حظيت بها لما بذلته بإخلاص ومتعة حقيقية.

■ هناك قراء يقتنون الكتاب بدون معرفة بقيمة محتواه، وأحياناً يسمعون للمرة الأولى باسم كاتبه. لكنهم يُقبلون على هذا الكتاب لسبب واحد هو أن خالد الجبيلي مترجمه. كيف تنظر إلى هذه الثقة؟ وأنت تترجم، هل تضع في ذهنك قارئاً ما بمواصفات معينة؟

. عبّر لي الكثير من القراء بأنهم يقتنون أيّ كتاب لمجرد رؤيتهم اسمي كمترجم على الغلاف، أي سعادة يمكن أن يشعر بها مترجم عندما يسمع ذلك. عندما أبدأ بترجمة أي عمل، فإني أضع في اعتباري احترام عقل القارئ وذائقته، لأنّ القارئ العربي قارئ ذكي يميّز بين الغث والسمين في الأعمال المترجمة التي يقرأها، ويدرك جيداً أن المترجم الذي يقدّم له عملاً جيداً، يحترم ذكاءه ويقدّره عالياً. وهذا يدفعني دائماً لأن أبذل ما بوسعي عندما أقدم على ترجمة أي عمل. أرى أنّ المترجم يحمل مسؤولية كبيرة تجاه القارئ العربي.

■ فالتر بنيامين كان يرى أن الترجمة هي ما يضمن للنص ديمومته. هل تفكّر في تخليد نصوص معينة وأنت تهمّ بترجمتها؟

- لم أفكّر في ذلك مطلقاً. لكن الشيء الذي يضمن للنص ديمومته هو إبداعيته واستمراريته مع مرور الزمن. أظن أنني إذا استطعت أن أقدّم ترجمة راقية لعمل مهم، فقد يضمن ذلك استمرارية النص وديمومته.

■ عملت مترجماً تحريرياً وفورياً في «المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة»، ثم مترجماً ومراجعاً في دائرة الترجمة العربية في الأمم المتحدة في نيويورك. هل كانت الترجمة المهنية سابقة على الترجمة الأدبية؟ وما الذي قادك إلى ترجمة الأدب؟

. بدأ شغفي في تعلم اللغات منذ أن كنت صغيراً. كان أبي رجلاً مثقفاً من الدرجة الرفيعة يجيد لغات عدة، كان يعمل مترجماً ومدرساً للغتين الإنكليزية والفرنسية، وكنت أشعر بدهشة كبيرة عندما أراه يترجم نصاً وهو يكتب بخطه الجميل، وأعجب كيف يمكنه عمل ذلك. أظن أن حبي لتعلم اللغات بدأ منذ ذلك الحين. بدأ يعلّمني اللغة الفرنسية، وعندما انتقلت إلى المدرسة الإعدادية، بدأت أدرس اللغة الإنكليزية، ثم التحقت بقسم اللغة الإنكليزية وآدابها في جامعة حلب. كنت أحلم بأن أصبح مترجماً، وبدأ شغفي للترجمة يزداد عندما بدأت أدرس الأدب الإنكليزي ومادة الترجمة في الجامعة. وعندما كنت في السنة الثانية في الجامعة، وقعت تحت يدي رواية «مزرعة الحيوان» لجورج أورويل في مكتبة أبي. عندما بدأت بقراءتها، شعرت برغبة قوية في أن أحاول أن أترجمها، وتساءلت كيف يمكن أن تبدو لو قرأتها بترجمتي. وبتشجيع من أبي قمت بترجمتها وطبعتها بنفسي على الآلة الكاتبة. كان ذلك أول عمل أدبي أقوم بترجمته، لكنها ضاعت للأسف، ثم ترجمت بعض القصص القصيرة للكاتب الإيطالي البرتو مورافيا اخترتها من مجموعات قصصية عدة، ثم بدأت عملي المهني كمترجم في «المركز الدولي للبحوث الزراعية» ثم انتقلت للعمل مترجماً في دائرة الترجمة العربية في الأمم المتحدة في نيويورك. خلال ذلك، كنت أقوم بترجمة بعض الأعمال الأدبية في أوقات فراغي وكنت أجد متعة كبيرة في ذلك. لذلك، فإن شغفي بالترجمة الأدبية سبق عملي المهني.

■ معظم ترجماتك روايات. لماذا الجنوح إلى هذا الجنس الأدبي بالضبط؟

— عندما بدأت عملي المهني في الترجمة التي تتركز على الموضوعات القانونية والعلمية خصوصاً الزراعية، كنت أشعر دائماً برغبة شديدة لترجمة أعمال حيوية تنبض بالحياة، فترجمت كتباً تاريخية مهمة، منها على سبيل المثال كتاب «نشوء الشرق الأدنى الحديث: 1792 – 1023» للبروفسور البريطاني مالكولم ياب، الأستاذ في كلية الدراسات الشرقية في جامعة لندن، وكتاب «تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر» المؤلَّف من مجلدين كتبهما طبيبان بريطانيان عاشا في مدينة حلب في القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى أعمال تاريخية واجتماعية أخرى. وخلال عملي المهني، كنت أقول لنفسي إن المترجم لا يصبح مترجماً حقيقياً إلا إذا ترجم أعمالاً أدبية أيضاً، فبدأت هذا المشوار، وكان هدفي الرئيسي أن أكسر الملل الذي كان يلازمني من ترجمة الموضوعات العلمية، ولاحقاً ترجمة شتى المجالات والتخصصات في الأمم المتحدة.

■ هل تترجم في الغالب بمزاجك وذوقك وخياراتك؟ أم أن يد الناشر أو المؤسسة تمتد هي أيضاً إلى رفوف الكتب المزمع ترجمتها؟

. في البداية كنت أترجم الأعمال التي أراها ممتعة وأجدها جديرة بالترجمة بالنسبة إليّ على الأقل، وأرغب في أن أشارك القارئ هذه المتعة، ثم أقترحها على الناشر الذي كان يقبل معظمها. وقال لي أحد الناشرين إنني أتمتع بذائقة جيدة في اختيار الأعمال. عندما يعرض عليّ ناشر عملاً ما، فإني أقبله إذا وافق مزاجي وذائقتي، وأرفضه إذا لم يكن كذلك.

■ حصلت على شهادة جامعية من حلب وأخرى من لندن، وتقيم منذ فترة في أميركا. هذا يعني أنك تعرف نقاط التقاء واختلاف الإنكليزيتين البريطانية والأميركية. كيف ينعكس ذلك على الترجمة إلى العربية؟

. على المترجم أن يتقن اللغة التي يترجم منها إلى لغته إتقاناً تاماً، ويعزز ذلك إقامته في ذلك البلد والتعرّف إلى ثقافته، لأن الترجمة ليست مجرد مفردات. ومن خلال دراستي للغة الإنكليزية وإقامتي في إنكلترا لفترة غير طويلة وإقامتي في الولايات المتحدة لفترة مديدة، واطلاعي المتواصل على الأعمال الأدبية في هذين البلدين، كل هذا جعلني أتعرّف بشكل جيد إلى ثقافتهما، وإلى نقاط التلاقي والاختلاف بينهما.

■ أحياناً تترجم عبر لغة ثالثة، ليست لغة الكاتب، وليست أيضاً لغتك. وتمارس بالتالي «الخيانة المضاعفة». ألا يتغير العمل الأدبي وهو ينتقل بين ثلاث لغات أو أكثر؟

. إن الشيء الذي كان يدفعني إلى ترجمة بعض الأعمال الأدبية من لغة وسيطة هو حبّي لذلك العمل واهميته، ولأنه لم يكن مترجماً. لديّ تجربتان مهمّتان في هذا المجال. فقد طلب مني الكاتب الألماني من أصل سوري المعروف رفيق شامي ترجمة روايته المهمة الضخمة «الجانب المظلم للحبّ» التي كتبها أصلاً باللغة الألمانية، وروايته الأخيرة «صوفيا- بداية كلّ الحكايات» التي أنهيت ترجمتها أخيراً، عن اللغة الإنكليزية، لكنه قام بمراجعة ترجمة كلتا الروايتين وتدقيقهما على الأصل الذي كتبه باللغة الألمانية. لذلك يمكنني القول إن الترجمة قد تمت عن لغتها الأصلية بموافقة الكاتب ومباركته، وليست مجرد ترجمة من لغة وسيطة. وطلب مني الصديق والأديب صموئيل شمعون، مؤسس منشورات «كيكا»، ترجمة روايته «ستالين الطبيب» للكاتب الروسي فيكتور إيروفييف الذي كتبها أصلاً باللغة الروسية، لكنه قام بمراجعة وتدقيق ترجمة روايته إلى اللغة الإنكليزية التي يجيدها تماماً، ووافق على أن أقوم بترجمتها من اللغة الإنكليزية.

■ هل تسهم الترجمة في تجديد اللغة المترجَم إليها، وفي تحقيق ما سمّاه عبد السلام بنعبد العالي «انتعاشة اللغة»؟

. تسهم الترجمة في إدخال تعابير ومفاهيم جديدة ليست متداولة إلى اللغة المُترجَم إليها (وهنا اللغة العربية) في جميع المجالات والتخصصات. فالترجمة تُنعش اللغة وتضخّ فيها روحاً جديدة، وتمدّها بأفكار ومفردات جديدة.

■ ألا تجد أنك تقوم أحياناً بتجميل النص الأصلي، الذي قد يظهر بلغة قريبة من حياة الناس، ويصير في الترجمة بلغة أدبية أكثر؟

. طبعاً، وهذه من ميزات الترجمة الجيدة. فالترجمة هي إعادة صياغة النص الأصلي إلى اللغة المترجم إليها، لا بل إنها إعادة كتابته، لذلك على المترجم أن يضفي على النص

> **اعترف ماركيز بأن ترجمة راباسا لـ «مائة عام من العزلة» هي التي أوصلته إلى العالمية والحصول على جائزة «نوبل»**

المترجم جمالية بلغة أدبية من دون التأثير أو الإخلال بفحوى النص الأصلي وأفكاره.

■ سيوران أشار مرة إلى أنه التقى بمترجمين أكثر ذكاءً من المؤلفين الذين ترجموا لهم. هل هناك حالات يتفوّق فيها المترجم على المؤلف؟

. نذكر جميعاً المترجم الأميركي العظيم غريغوري راباسا الذي ترجم معظم أعمال كتّاب أميركا اللاتينية المشهورين، وقد اعترف غابرييل غارسيا ماركيز بأن ترجمة راباسا لروايته «مائة عام من العزلة» هي أفضل من الرواية الأصل، وأنها هي التي أوصلته إلى العالمية والحصول على جائزة نوبل. فقد قال ماركيز: «أرى أن راباسا أعاد خلق روايتي بشكل تام في ترجمته إلى اللغة الإنكليزية. ففي الرواية أجزاء عديدة صعبة ولا يمكن ترجمتها حرفياً». وأضاف ماركيز: «ويتكوّن لديّ الانطباع بأنّ المترجم (راباسا) قد قرأ الرواية ثمّ أعاد كتابتها من جديد من ذاكرته». هل هناك تقدير أعظم من هذا التقدير من كاتب العمل للمترجم الذي ترجم عمله إلى لغة أخرى وجعلها تبدو رائعة؟

■ وتساءل بورخيس ليست حرفة المترجم «أكثر براعة وحذقاً، وأكثر تحضّراً من حرفة الكاتب»؟ واعتبر الناقد والروائي الفرنسي موريس بلانشو المترجمين «كتّاباً من الطراز النادر، لا يوجد لهم نظير». وقال لي بعض الزملاء إنهم كانوا قد قرأوا رواية «قواعد العشق الأربعون» للكاتبة التركية إليف شافاق، باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، لكنهم عندما قرأوا الترجمة العربية التي قمت بترجمتها إلى العربية، أحسوا أنها أجمل وأكثر وقعاً على النفس.

■ هل هناك كتاب ترجمته وندمت لاحقاً؟ أو على الأقل أحسست أنه كان يفترض أن يُترجم على نحو آخر؟

. لا، لم أندم على أي عمل ترجمته.

■ من الأقرب إليك من الكتّاب الذين ترجمت أعمالهم إلى العربية؟

. نيكوس كازانتزاكيس، هنري ميللر، رفيق الشامي، إرفين د. يالوم وآخرون.

■ كيف تقرأ حضور الأدب الأميركي في العالم العربي؟

. ليست لديّ فكرة واضحة عن نسبة حضور الأدب الأميركي في العالم العربي.

■ ماذا في المقابل عن حضور الأدب العربي في أميركا؟

. ضعيف جداً.

■ ما السرّ وراء هذا الحضور الضعيف للأدب العربي في العالم، وليس في أميركا وحدها؟ هل يتعلق الأمر بهيمنة آداب الدول القوية اقتصادياً وسياسياً؟ أم أن الأمر يعود إلى قيمة الأدب العربي نفسه؟

- لاحظت من خلال زياراتي الدائمة والمتكررة لكبرى المكتبات في الولايات المتحدة الأميركية، أنك قلّما ترى كتاباً مترجماً إلى اللغة الإنكليزية معروضاً على رفوفها، لا من اللغة العربية فحسب، وإنما من اللغات العالمية الأخرى أيضاً. لعل أكثر الأعمال المنتشرة هي أعمال كتّاب أميركا اللاتينية. وحتى الأعمال المترجمة من اللغات الأوروبية الأخرى كالفرنسية والإيطالية قليلة جداً. لا أعرف ما هو السبب، هل هو بسبب غزارة إنتاج الكتب والروايات التي تصدر في أميركا؟

■ ألا ترى أن الأجيال الجديدة من أدباء العالم غير متداولة في العالم العربي؟ وأقصد هنا الكتّاب الذين ولدوا بعد منتصف القرن الماضي.

. نعم، هناك عدد كبير من الكتّاب المعاصرين والحديثين الرائعين الذين قلّما ترى أعمالهم مترجَمة إلى اللغة العربية... لعل السبب هو جري الناشر العربي وراء الأسماء الكلاسيكية المعروفة. والاحظ أن بعض المثقفين العرب كثيراً ما يرددون في أحاديثهم ومقالاتهم أسماء كتّاب كلاسيكيين بعينهم، كما لو أن العالم لم ينجب كتّاباً مهمين من الأجيال الشابة في العالم.

■ يدخل المترجم إلى عالم الرواية، ويسبر أعماق الكاتب، ويمتلك خبرة بأساليب وتقنيات الكتابة الروائية. لماذا لم يفكّر خالد الجبيلي في كتابة رواية؟

- سُئلت كثيراً هذا السؤال، وأجيب بأنني لا أمتلك تجربة مميّزة تجعل مني كاتباً مميزاً، لذلك أفضّل أن أقدّم للقارئ العربي بعض الأعمال العالمية المهمة والجيدة، على أن أكتب رواية قد لا تكون بأهمية الترجمات التي أقوم بها.

■ بخصوص الشعر ربما الوحيد الذي ترجمتَ له هو جلال الدين الرومي. ما الذي منعك من نقل نصوص شعرية حديثة إلى العربية، خصوصاً من أميركا؟

- بعد محاولات كثيرة، قررت أن أترجم بعض أشعار أو شذرات لجلال الدين الرومي الذي أحبّ أشعاره كثيراً، بشكل عام، أتهيّب من ترجمة الشعر كثيراً، مع أن لي بعض المحاولات في ترجمة بضع قصائد لتشارلز بوكوفسكي وعدد من قصائد الهايكو نشرت بعضها على صفحتي على الفايسبوك.

■ كيف تقرأ طغيان الروح التجارية في الكثير من الترجمات التي تملأ المكتبات العربية اليوم؟

. على الرغم من ظهور مترجمين مهمّين ترجموا أعمالاً رائعة ومهمّة من لغات عدة في العالم العربي، لا يزال هناك قدر كبير من الأعمال المترجمة الضعيفة والركيكة. سمعت أن بعض دور النشر العربية تلجأ إلى مترجمين مبتدئين وتتجنب المترجمين المحترفين المعروفين لأنها لا ترغب في أن تدفع لهم مبالغ معقولة (على الرغم من ضعفها في جميع الأحوال).

■ هل ترى أن الدول التي نترجم آدابها هي في الغالب دول ذات قوة اقتصادية وسياسية؟ هل نحن فعلاً أمام النظرية التي تقول إن الدول القوية تفرض آدابها وثقافتها؟

. أظن ذلك، مع أن هناك ترجمات عديدة لكتّاب من بلدان لا تتمتع بتلك القوة.

■ هل أنت راضٍ عن حاضر الترجمة في العالم العربي؟ وهل أنت متفائل بمستقبلها؟

. لا لست راضياً تماماً، لكنني متفائل بمستقبل الترجمة مع تزايد الاهتمام بها في العالم العربي.

سرد

في الجغرافيا القاتلة... حدث كل هذا وأكثر

جوان حمي *

1. أطفالنا يحرزون الأهداف بحرفية عالية، يقدمهم البيتيمة. قدمهم الثانية بترها غالباً جوان حمي. في المرمى المكوّن من عكازاتهم. كذلك أطفالنا يقودون دراجاتهم الهوائية بمهارة شديدة، وأيضاً يقدم وحيدة، والتي ما عادوا يملكون سواها. مع ذلك، ودوماً، يشتري السوريون الجميلون فردتي الأحذية البلاستيكية، الشحاطات الاثنتين؛ الفردة الأخرى الزائدة، يقذفها السوريون في وجه العالم، كل العالم.

2. مطلوب طفل سوري بعمر الـ 9 سنوات، بنمرة قدم 34، مبتور القدم اليمنى: لمشاركة المأساة مع طفل سوري مبتور القدم اليسرى، في شراء فردتي حذاء رياضي ماركة أديداس.

3. أعاد الصيدلي الوصفة، التي كتبتها لبنت صغيرة البارحة، كاتباً بخط أحمر: «دواء مفقود»، كانت الوصفة: «قبلة على جبينها ثلاث مرات، من أبيها الشهيد».

4. الفتاة التي هاجر خطيبها إلى ألمانيا، بَكَتْ مختنقةً عندما كتبتْ وصفة لها، بدواء وحيد: آزاد، خطيبها، حبة ثلاث مرات بعد الطعام.

5. المرأة المسنّة التي وَصَفتْ لها علاجاً لألم ركبها، ناصحاً إياها بعدم المشي مديداً، بكت مختنقةً: — وكيف سأزور قبور أبنائي؟

6. الأم الشابة، وقفت مشدوهة، عندما وقعتْ على شهادة دفن، لساق ابنتها المبتورة: — إلهي، البارحة ابتعتُ لها دراجة هوائية زرقاء...

7. تلك الأم، التي طلبتْ مني تقريراً طبياً حول وفاة ابنها ذي الثماني أقحوانات، برصاصة قناص، أفلتَ علي: — كان وحيداً على أربع من البنات، واكتب كذلك: إن أمه كانتْ تحبه جداً، جداً، ولا تزال، كانت ستسمح له بقيادة دراجته الهوائية، متى و أينما شاء.

8. الأم الصغيرة، بكت كثيراً عند دفن ابنتها ذات السنة الواحدة، والتي قضت في التفجير. انتظروا، انتظروا هذه رضاعتها، بيبرونتها الوردية، إنها تحب هذه البيبرونة كثيراً.

9. الأم الشابة، بكتْ عندما طلبتْ منها أن يحضر زوجها ليوقع على تفويض لإجراء عملية جراحية لابنتها، بنتها الصغيرة فرحتْ: اليوم أيضاً، سأشعل شمعة على قبر أبي شرقي المدينة.

10. الطفلة المكسورة الذراع، بعدما نزعتْ عنها الجنْبَس، طلبتْ من أمها أن يُحَرِّكَ والدها ببطء مرفقها الأيمن، منعاً لتَحَدُّدِ حركة المفصل. بَكَت الأم بحرقة شديدة: والدها تحت الأرض.

11. الرجل الذي طَلَبْتُ منه أن تغسل زوجته آثار الدماء الجافة على ظهره، بقي صامتاً؛ زوجته قَضَتْ في التفجير نفسه.

12. الفرن الذي قَبّلَ أمامه أربعون محترقاً، متفحماً، أسودَ كل يوم، إلّا اليوم أصبح خبزه أحمر بنكهة جدائل محناة، ملقاة على جانب المسار المخصص للسيدات.

13. الوصفة الطبية التي كتبتها لشيرين ذات الـ 6 أقحوانات، والمبتورة القدمين، أعادتها لي وقد رسمتْ على ظهرها خربشات أقرب ما تكون لقدم بشرية.

14. أول شيء، تعلمتْ كتابته، شيرين ذات الـ 7 أقحوانات، باللغة الكوردية، كانت عبارة Lingê çepê (البالية). هذا ما كتبته شيرين، الداكنةُ السُّمرة، والمبتورة الساقين، على الطائرة الورقية الثانية، رسالتها الثانية إلى الرب.

20. كانت تحب، السراويل الطويلة (الستاكور)، تخاف على بشرتها البيضاء من الشمس، وأمها صارت تخاف أن يعلق سروالها الطويل الفارغ في دواليب كرسي المعاقين الذي يخُصّها.

21. الطفل المبتور القدمين رفض المسدس الجميل الذي أحضره له والده في عيد ميلاده: أريدُ قنبلة مثل التي قطعتْ قدميّ.

22. بعد سقوط سمّاها اللبنية، طلبت منها أمها أن ترمي تلك السنّ إلى الشمس، وفعلاً عوّضتها الشمس بسن جديدة. وهكذا طلبت مني قدمها المبتورة، سترميها إلى الشمس عسى أن تعوّضها الشمس بقدم جديدة.

* طبيب جرّاح سوري، شارك في إسعاف ومداواة الجرحى خلال اقتحام الاحتلال التركي لعفرين.

النزوح من عفرين (وكالة فرانس برس)

نص

آآه يا عمتي

عاصي علي عفارة*

خراباً كان قلبها، خراباً. قاحلاً إلا من شجيرات من الشوك تُروى بماء الرياء. وقلت هذا وطني الذي أضعته، وسرت كالمنوّم بلا وعي. لم أقصد الدخول، كلا لم أقصده، إنما بؤس هذه الأرض كان يمسكني من كل أطراف روحي، ولم أجد إلا يدي تمتد إلى عمق قلبي لتفرغه من أغراس فتية، اقتلعتْ كل ما فيه من شجيرات، ومن زهور، ومن عرائش منسية، ولم أترك شتلة واحدة تزين زاوية من زواياه، جميعها... جميعها اقتلعتها وغرستها في قلبها. كانت الغيوم تهرول فرحةً، يلتقي بياضها مع سوادها، ويبدأ العناق الحميم، فتذرف دموع فرحها، لتنهض الشتائل من نومها، وترمم جراح أمسها، وتبل قامتها، وتلقي بأقدامها في ينبوع الحياة. وسار النهر، سار على مهل، رويداً رويداً كان يجرف آثام الماضي وما علق من أسى وخدوش الأشقياء في وجودي.

كانت الأيائل تمضي إلى النبع مطمئنة، لا يعكر صفو رشاقتها صيادون، كنت قد كسرت بنادقهم وعضضت سواعدهم وطردتهم إلى الصحراء ليغرقوا في رمال دناءتهم. من كل شائبة نظفت قلبها، لم أترك عشبة واحدة خائنة تمد جذور غدرها لتمتص من رحيق حياة شجيرات الوداعة. فجأة أتى الأعداء، أعداء لهم هيئة الملائكة، بقلوب غبية، وأرواح جبانة شريرة، همسوا في أذنها: — نحن أهلك، نحن ماضيك القوي ومستقبلك المشرق، نحن من طهّر آباءك من آثام الماضي، ونحن من سيطهرك من آثام الحاضر والمستقبل. ناديت، ناديت ولم تسمع حينها النداء من قلبها، لم تتعرف إلى سليل الغزلان، وأنكرت صفير البلابل، لم تسمع أغاني النهر، ولا ابتهالات الأشجار، ولا عبق هواء الورود. وقالت:

— اخرج يا غريب.

قلت: — لست غريباً، كنت غائباً وحسب، هم الذين غيّبوني، كانوا يأتون برجال لحاهم طويلة بوجوه مرعبة، وبسيوف التوحش كانوا يمزقونني أشلاء، وكنت أقوم من موتي، أجمع أشلائي وأعود، لا تصغي إليهم، هؤلاء وحوش بهيئة ملائكة، هم الغرباء والطارئون، ائت من لمست حقدهم ودناءة مقصدهم في الماضي، كما لمس توما جراح المسيح. ولم تسمعني، يا عمتي، ورمتني نهباً للريح. أنا الذي أهديتها إلى الغاردينيا، وهي من ذهبت بمحض روحها لتمرغ في عطره، هي من أجّلت الهواء بعض شهيق لتشهق في جنون الرغبة القصوى. وأنا الذي كنت أغمس قلمي في القلب لأكتب لها أحرفاً حمراء، أرسم لها طريقاً على جانبيه أناس طيبون، يمدون أياديهم محملة بتفاح المحبة لكل العابرين. أنا من باح بشوقه حتى بحّ صوت البرق وذابت السحابة ماءً انزاح وجرف دموع من بكى منذ ألف عام. قلت لها:

— بوحي بشوقك أبح لك بأسرار الفراشات، أطلقي من بين شفتيك الرنين أقدم لك شرايبني أوتاراً، مدّي أصابعك النازفة إلى عمق جراحي لتخرج بلسماً وأنغام كمان. لقد تورطت يا عمتي تورطت، غرق قلبي بشبر من ماء طيبتها. تورطت وسال صوتي دموعاً على خد صمتها. وزّطت قلبي، فلم يعد يعرف ترتيب دقاته إلا على نغمات هديلها، وأصابه الصقيع، ومن طول الغياب تجمّد. كيف أمضي وأترك حكاياتي نهباً للأشباه، أنا من رويتها بمداد القلب، أنا الذي منحتها من روحي حتى امتد جناحاها وأصبحت تطير. أنا من شقّ لها طرقات الورود دون أن أحدش جذع شجرة، لتسير مبتهجة. في غيابي سيمدون أياديهم لسرقة مفرداتي، سيتكئون طويلاً على لغتي، وسيصعدون إلى الأعلى ليكسروا ما استطاعوا من أغصان أهازيجي. كلا لن أترك شيئاً للغرباء لن أترك شيئاً. ساخذ حكاياتي المطعونة في روحها. وقصائدي المعلقة على مشجب الإهمال. أمشاط الغزل التي كنت أسرح بها شعر الكلام. ولكن كيف لي أن أقتلع اغراس الزهور، الجوري، الياسمين الذي التصق بقوة وتمسك بأصابع الحرير، بالأوردة؟ كيف لي أن اقتلع الأشجار؟ هي لا تنمو في قلوب الآخرين، كيف لي أن آخذ صوت النهر؟ النهر يأسن إن توقف عن الغناء يا عمتي. ستموت الأشجار، وتذبل الورود، وتغادر الغيوم، ويأسن النهر، ولن يحتمل قلب الغزالة كل هذه الوحوش. وأنا أنا سأمضي سأمضي، يا عمتي، فلست سوى حكاية مروية على عجل. آآآآه يا لهف قلبي عليك، يا ولدي.

بيروت/سوريا

إدوار ماني – «المرأة ذات الببغاء» (زيت على قماش، 1866).

قصائد

شاي رحمتكَ الأبيض (*)

محمد قشمر **

1. الملعقة الاخيرة

على عتبةِ المطبخْ
تشذّبُ أمّي نحولي
أهربُ من أوّل ملعقة
تجرُّ شهيّتي بقضتها
بطالعُني أبو الفضل العبّاس
بقربةِ ماءٍ مثقوبة
كسلّة فراولة
بلا ذراعين
يمسكُها بثناياه
وعمودٍ كهرباءٍ رماديّ
يضربُ رأسَه
الملعقةُ الأخيرة
غضتي الأولى

2. سافانا اليباس

تمساحُ اللّهفة
بأسنانِ الشوق
يعضُ تينَ الفؤاد
تذرُفُ سهولُ الوحدة
دموعاً كقطيعٍ من الغزلة!

ذاكرةٌ مُقلّمة
كحمارٍ وحشيّ
تحاولُ استعادةَ نُضْجها
ريثما تجفّفين
بحيرةَ الضّياع
وأنتِ عائدة
إلى سافانا يباسي

3. كشارةُ جوز

مسطرةُ الوجود
تضربُ راحةَ العدم
تضحكُ مريم
في يدها
فتّاحةٌ عُلّب
وفي الثانيةِ
شرائحُ أناناسٍ مقطّعة
الحزنُ أيضاً
كشارةُ جوزٍ
حتماً
ستُتخَمُ يوماً
من هذا الضّحك!

4. توتٌ ازرق

لو أنّي
كما التّوت الأزرق
أجيدُ تفسير
منامات الله
كزهرةٍ
تفقدُ ذاكرتها ببطء
أشحنُ السماء بمصيدتي
أجبلُ نحلةً
لسماء الغولف الفضّيّة
مُنتظراً
هبوطَ ريشةٍ
بجودة عالية

5. جلّاب الصنوبر

في عيدِ الكعك
احترقت فطيرةُ التفّاح
أنا وإخوتي
نتهامس
تحتَ الغطاءِ النّيلي
وأمّي من فوقِنا
تسكبُ جلّاب الصنوبر
وأبي
كانَ مُعنا
يقشّرُ هواجسَنا
تحتَ الكساء!

6. نبيذٌ كفّ امّي

كلّما
ذبُلت روحي
أشكُّها
وردةً بلاستيكيّة
في كفّ أمّي
فأرى الله
يدقّ بتلاتها
نبيذاً
يعمّد به ساقَ عرشِه!

7. شتلةُ كرفس

ليتني
شتلةُ كرفس
في حاكورة عزرائيل
يعتنيها
يُقبّلُ أوراقها بشغف
فلا يقبض روحها
كي لا يتوجّس
مِقصُّ نَضْبِ أشواقِه

8. قلمُ سراب

سنجابُ أزرق
يفتّش
عن كعكةِ الزنجبيل
في علبةِ الثّلوين..
العلبةُ فارغة
سوى من قلمِ سراب!

9. وبرٌ

ما زلنا أنقياء
لكنّ الدرّاق
تلحّفَ بالشّوك
يبقى الشّوكُ وبراً
يا مريم!

10. سلالُ الكرز

غداً
يتفحّمُ كبدُ إسماعيل
يفرُكُ اللهُ وجنتيه
بغلافِ الأرض
لتملأ هاجرُ سلالَ الكرز!

11. ومضةٌ

لو أنّ قامتي
أطولُ من سرير الأحلام
لاجترّتْ هذه الصحراء
بومضة!

12. شوقٌ

حتّى المنديل
لم يستوعبْ هذا الغياب
ما زالَ يُلوّحُ بي!

13. دمعةٌ عالقة

الذين لا ينْسوننا، ولا ننساهم!
الذين يهاجرون الحياةَ إلى أجملِها...
و يعودون ليلاً، من خلف كواليس
الرؤى، على براقٍ ملكوتيّ، ليراشقوا
شبابيك الأحلامِ، بوداعتهم المسيّلة
للحبور... يبتسمون كحُباب فجرٍ،
يخترقُ عبقُ الأوركيد، والخزامى...
فنستيقظُ وبين الأهداب دمعةٌ عالقة!

الذين يراسلون الروح بسطور وجودهم العصيّ على الغياب، ضحكاتُهم أجنحةُ فراشاتٍ تُزاوِلُ الرّفيفَ في مشكاةِ القلوب... كلّما دثّرتها أمواجُ الوداعِ، تتجذّرُ في غياهبِ الحضور أكثر!

الذين لا يزالون بيننا... يقاسموننا خبزَ الصّلاة، وقشعريرةَ الدّعاء. دفء هالاتهم، سَمَر الشتاء!

14. عود المردقوش

لو أنّ الزهراءَ بيننا، نحتفلُ برفقتها في عيدِها، تنظرُ الفقراءَ من كوّةِ عرش الله، تمدُّ كفّيها لراحات البؤساء الباردة، تترك فيها سنابل أشعّتها... تترك قربَ طواريحِ أطفالهم دمىً، وكميوناً، وجرافةً، وبعض أكياس الملبّس!

لو أنّ الزهراءَ بيننا، نحتفلُ معها في عيدِ ميلادِها، تسقينا كأطفالِها من كوثرِ دمعِها صلاةً، ذكراً تتعفّر به الثغورُ عند الشدائد، نقطف معها من الحواكير تبولةَ شهيةً كمائدة عليّ... وفي المساء نَهبُ قالب الحلوى لمسكينٍ يطرق بابها، يرجو التبرّك بعود مردقوش من قرانها، كلّما تبيّس... تضوّع من حفيفه اسمُ الله الأعظم!

15. مطلعُ الغَمْر

حينما تعشقُ الشمسُ، يُسقِطُ الخريفُ أهدابها؛ تترمّد، تخبو، تستمدُّ من المُحاق كفنَ قلبها؛ تدور على هوى عُبّاد الشمس، تستسلمُ لرقصتِه، تتلوّى وتلوي عنقها، تكسر رقبتها طوعاً؛ ترقّقُ عظامها، ترتخي كدود القزّ، حتى ترضى عنها بتلاتُ الحقول؛ تالفُ البرد؛ تدنو منها بعيون واسعةٍ، وأنامل بحرقِ من الدرجة الثالثة، كي نغرزها بينَ مكعّبات الثلج!

يا شمسُ، كيف نارُ الحب تجنّ، تتعرّى، تنافرُ ذاتها، تنقلبُ برداً، برداً بلا سلامٍ.

لا سلامَ حتى مطلع الغَمْر!

* قصائد من ديوان بالعنوان نفسه صدر حديثاً عن «منشورات رواة» ببيروت.

** لبنان

شفيق عبود – بلا عنوان (زيت على قماش، 1971).

دراسة

جون غرنجر: يوم تغلغل النفوذ السوريّ في الإمبراطورية الرومانيّة

إعداد زياد منى

نبدأ عرضنا لـ «التأثيرات السورية في الإمبراطورية الرومانية حتى عام 300 ت ش» (روتليدج ـ 2018) الممتع باحتجاج الشاعر الروماني جوفنيل على التأثيرات السورية في الإمبراطورية الرومانية/ الرومية، إذ ينقل عنه قوله، معترضاً على الوجود السوري في مدينة روما: إن نهر العاصي كان يفرغ في نهر التيبر.

للتذكير، فإنّ الإشارة قديماً إلى سوريا عنت كامل المنطقة الواقعة من جنوبي فلسطين إلى سلسلة جبال طوروس شمالاً، ومن شرق تدمر إلى البحر المتوسط. بل إنّ الاسم «سوريا» عنى في بعض العهود القديمة كامل «بلاد الشام» وتجاوزها، وصولاً إلى البحر الأسود شمالاً وضم حتى القسم الأكبر من شبه جزيرة سيناء جنوباً. لكن المقصود هنا ما يُعرف باسم «المجال السوري-الفلسطيني» الذي يضم كلاً من سوريا ولبنان وعبر-الأردن وفلسطين المحتلة، وليس سوريا الإدارية في العهد الروماني.

الكاتب جون غرنجر، أكاديمي مستقل متخصص في التاريخ القديم والحديث، قال: «كانت سوريا أحد أكبر مصادر الثروة في الإمبراطورية الرومانية، وفي الوقت نفسه مصدراً رئيساً للجنود والبضائع والآلهة والتجار. كانت هذه هي الحال أيضاً في أمكنة أخرى، بالطبع، لكن تركيز كل هذه العناصر في منطقة واحدة كان فريداً». وهدف هذا المؤلف النظر إلى هذه الأمور، وتأثيرات السوريين في الإمبراطورية، وفق كلمات الكاتب، مع صعوبة تحديد نهائي لمدى ذلك التأثير ومشاركتهم في حياة الإمبراطورية. ففي إحدى الحالات، تالقت مجموعة من السوريين في التاريخ الإمبراطوري حيث احتل أباطرة من سلالة سبتمُس سفرُس وغيرهم العرش الإمبراطوري. لكن احتلال سوريين عضوية مجلس الشيوخ ورجال الإكوايتس الرفيعي المستوى، ربما يكون مؤشراً أكثر تأكيداً على مشاركة وكانت سوريا مصدر ثروة تجارية أكبر من العديد من المحافظات الأخرى، ومنتجاً رئيسياً للنبيذ وزيت الزيتون، ومصدراً للقوى البشرية العسكرية، كما أسلفنا. فمن المعروف أن مصر زوّدت روما بالآلهة إيزيس وأوزوريس وسيرابيس، مثلما أرسلت اليونان زيوس وبوسيدون وأبولو وآخرين. لكن سوريا زوّدت الإمبراطورية بالهة القدس والجزيرة العربية وفينيقيا، كدوليشينوس وجوبيتر هليوبوليتانوس وذي الشرى وأدونيس الفينيقي وبيهوه وأترغاتيس. انتشرت الآلهة في أنحاء الإمبراطورية، وفي نهاية المطاف غيّرتها تغييراً عميقاً. فقد استولى أحد هؤلاء الآلهة، هو يهوه الذي تغير كثيراً، على الإمبراطورية بأكملها باسم المسيح. كما علينا تذكر أن سوريا مهد الآرامية بلهجاتها المختلفة التي أصبحت لغة المشرق القديم وامتدت شرقاً لتشمل بلاد الأفغان.

انطلاقاً من هذه الحقائق وغيرها، فإن هدف المؤلف تتبّع تلك التأثيرات المختلفة كجزء من النظر في مشاركة سوريا والسوريين في حياة الإمبراطورية، ومحدوديتها ذلك.

موضوع الفصل الأول (سوريا الرومانية: المشهد السوري) الذي يلي التقديم، يرمي إلى تثبيت المنطقة التي يتناولها البحثُ وتاريخها في الحقب ذات الصلة.

الفصل الثاني «السوريون يستولون على الإمبراطورية»: هناك بعض الطرق التي مارس بها السوريون نفوذهم في الإمبراطورية الرومانية، وفق كلمات الكاتب، مع صعوبة تحديد نهائي لمدى ذلك التأثير ومشاركتهم في حياة الإمبراطورية. ففي إحدى الحالات، تالقت مجموعة من السوريين في التاريخ الإمبراطوري حيث احتل أباطرة من سلالة سبتمُس سفرُس وغيرهم العرش الإمبراطوري. لكن احتلال سوريين عضوية مجلس الشيوخ ورجال الإكوايتس الرفيعي المستوى، ربما يكون مؤشراً أكثر تأكيداً على مشاركة السوريين في إدارة الإمبراطورية.

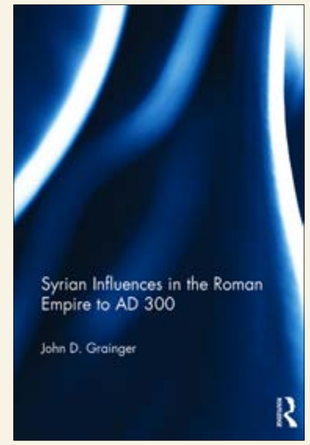

كانت منتجاً رئيسياً للنبيذ وزيت الزيتون، ومصدراً للقوى البشرية العسكرية

الفصل الثالث «سوريا قاعدة عسكرية رومية/ رومانية» يوضح كيف أن سوريا شكّلت القاعدة العسكرية الرئيسة في شرقي الإمبراطورية، ولعبت دوراً في كل الحروب التي شنّتها روما على الأعداء في المناطق الشرقية، أي: السوريين والأرمن والفرتيين والرومان الآخرين.

الفصل الرابع «الجيش الرومي في سوريا»: كانت العلاقة بين سوريا والجيش الروماني التي بحثها الفصل الأسبق، جزءاً من علاقة قوة مسلحة ضخمة مختلة مصمّمة على إبقائها ضمن حدود الإمبراطورية، لكن في الوقت نفسه كان القصد من أن تكون رادعاً لأي هجوم فرتي محتمل، إضافة إلى أنها كانت مصدر تزويد أعداد كبيرة من الجند للفرق الرومانية، والذين تم إرسال معظمها إلى محافظات أخرى. علماً بأن الإمبراطورية الرومانية تركت وثائق تفصيلية كثيرة عن تحركات فرقها. من هنا، فإن هذا الفصل هو فحص أولي ضروري للفحص التفصيلي لتلك الوحدات السورية في الخارج في الفصل التالي.

الفصل الخامس «سوريون في الجيش الروماني» خصّصه الكاتب للحديث في مدى تواجد السوريين في الوحدات المساعدة ذات مجموعة واسعة من القدرات ولا سيما المتخصصة في الرماة. كان الجنود الذين تم تجنيدهم في الجيش (والأسطول) أحد أسس ذلك الارتفاع ويمكن تقديرهم وتحديد موقعهم بسهولة نسبياً، ويمكن متابعة تجنيد هؤلاء الجنود السوريين وانتشارهم في أنحاء الإمبراطورية، من جنوب مصر إلى اسكتلندا.

الفصل السادس «تصدير الآلهة»: يُعد انتشار الآلهة السورية في الإمبراطورية الرومانية خارج سوريا أحد التطورات الدينية والثقافية الرئيسية في العلاقات السورية مع الإمبراطورية. كان ذلك الإقليم أرضاً خصبة لآلهة ذات قوة جذب كبيرة، والتي وجدت في نهاية المطاف أنها معبودة في معظم الإمبراطورية. كانت قصة النجاح النهائية هي قصة المسيحية - وهي ديانة سورية - لكن انتشار الديانة اليهودية معروف جيداً تقريباً، وإن لم يكن ناجحاً في اكتساب المتحولين دينياً كما كان الحال في المسيحية، علماً بأن تاريخ الأولى يخضع لمبالغة متحزبة كبيرة نراها في كتابات المؤلفين الأشكناز، دوماً وفق الكاتب.

الفصل السابع «مدنيون»: إن سجل المدنيين السوريين في الإمبراطورية خارج وطنهم أقل بكثير مما هو عليه مقارنة مع الجنود والآلهة السوريين، ويبدو أنهم كانوا أقل ميلاً إلى إنفاق وقتهم وأموالهم في تخليد أنفسهم وأنشطتهم، لكن لا يزال هناك عدد جدير بالاهتمام من السجلات التي يتعيّن جمعها ودراستها.

الفصل الثامن والأخير «التركيز السكاني» يسبق ملخص المؤلف: قسمت الموسحات التفصيلية السابقة للجيوش والآلهة من سوريا الروابط بينها وبين بقية الإمبراطورية الرومانية بشكل مفرط.

* Syrian Influences in the Roman Empire to AD 300. Routledge 2018. Extent: X, 284 + map, Figure and Tables. John D. Grainger

قوانين حقوق الإنسان

الدروع البشرية من سريلانكا إلى فلسطين

من هنا لا يتذكر صورة المزارعة الفلسطينية وهي تحتضن شجرة زيتون بيديها العاريتين في حقلها لمنع قطعان الكبان الاستعماري- الاستيطاني الصهيوني من قطعها؟ أو صورة الفتى الفلسطيني الذي أجلسه جنود العدو الصهيوني على مقدمة سيارة جيب عسكري واستعملوه درعاً بشرية للتقدم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967؟ الأمثلة كثيرة، والكاتبان في «الدروع البشرية: تاريخ [حشر] المدنيين في خطوط النار الأولى» (منشورات جامعة كاليفورنيا ـ 2020)، يفتتحان مؤلفهما بطرح قضية قتل جنود العدو الصهيوني للناشطة الأميركية-الإشكنازية راشيل كوري. ذلك أن المسألة اتخذت بعداً في محاكم الكيان الصهيوني. يستعمل الكاتبان هذه الحادثة لتحليل مسألة الدروع البشرية فلسفياً وسياسياً وقانونياً.

يقول الكاتبان: «سافرت راشيل كوري البالغة 23 عاماً إلى الشرق الأوسط، عازمة على بدء مشروع توأمة مسقط رأسها أوليمبيا في واشنطن ومدينة رفح الفلسطينية في قطاع غزة» المحاصر مصرياً وصهيونياً. كان ذلك في ذروة الانتفاضة الفلسطينية الثانية ولمنع العدو الصهيوني من عمليات الهدم الهائلة للمنازل على الحدود المصرية. بعد أقل من شهرين من وصولها، في 16 آذار (مارس) 2003، سحقت جسدها الشاب جرافة «إسرائيلية» كتربلر عسكرية أميركية الصنع، استخدمته المغفورة لمنع تدمير منزل الصيدلي الفلسطيني سمير نصرالله. خلال المحاكمة اللاحقة، دافعت المتحدثة باسم جيش العدو الصهيوني عن سائق الجرافة واتهمت حركة المغفورة بارتكاب أنشطة «غير قانونية وعنيفة» من خلال «العمل دروعاً بشرية للمطلوبين أو لمنازل الفلسطينيين». كان استخدام كوري لجسدها درعاً لمحاولة ردع الجرافات عن هدم المنازل «دليلاً» على أنها شاركت في عمل قتالي. وبالتالي، فإن الشخص الذي قتلها لم ينتهك أي قانون. تطرح وفاة راشيل كوري المروعة وتبرئة الجندي الذي قتلها عمداً، عدداً من الأسئلة حول الحماية البشرية. لماذا تم اعتبار قتل درع بشري طوعي، شخصاً أعزل يستخدم أشكال حماية غير عنيفة، قانونياً؟ ولماذا يعتبر بعضهم الدروع البشرية التطوعية مجرمين وبعضهم الآخر أبطالاً؟ وماذا يمكن أن يعلّمنا تاريخ أناس على خط النار الأول، عن قوانين الحرب والقوى السياسية والاجتماعية المتغيرة التي شكّلت النظام العالمي؟

يرى الكاتبان أن الحماية البشرية هي في الأساس سياسة ضعف، حيث يتم تسليح الضعف البشري، ثم استخدامه لتحقيق مجموعة من الأهداف السياسية والعسكرية والقانونية. مع ذلك، فإن الردع لا ينجح إلا عندما يقدّر الطرف المهاجم إنسانية الدرع ويشعر بأنه مضطر أخلاقياً لوقف الهجوم حتى لا يؤذي الشخص الذي يعمل درعاً (طبعاً، هذا لا ينطبق على قطعان جيوش العدو الصهيوني – ز م). لذلك، فإن الدروع البشرية هي أيضاً قصة أولئك الذين تم تضمينهم في المجال البشري، وكذلك الذين تم استبعادهم منه، ما يكشف أن الإنسانية مفهوم متغير سياسياً وليس عالمياً ومحايداً.

ينتقل الكتاب من المدنيين السوريين الذين حبستهم الميليشيات المسلحة في أقفاص حديدية، ووضعتهم على أسطح مبانيها العسكرية في منطقة دوما إبان سيطرتها عليها، إلى قدامى المحاربين الذين ينضمون إلى حماة المياه الأصليين المسالمين في محمية Standing Rock Sioux؛ ومن سريلانكا إلى العراق، ومن اليمن إلى الولايات المتحدة، تضاعفت الاتهامات باستخدام الدروع البشرية وسيلة للحماية أو الإكراه أو الردع على مستوى العالم خلال العقد الماضي. وظهرت الدروع البشرية أيضاً بتواتر متزايد في السياقات غير القتالية مثل النضالات ضد الأسلحة النووية والاحتجاجات المدنية والبيئية، وأخيراً في ألعاب الكمبيوتر.

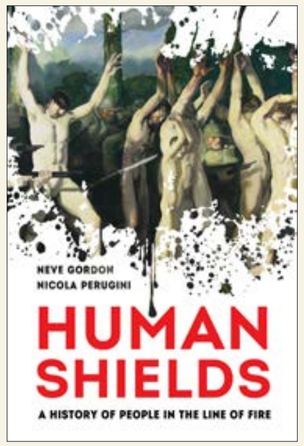

ممارسة الدروع البشرية تتوافق مع تاريخ الفهم المتغير لما يمكن اعتباره «إنسانياً»

مع ذلك، يقول الكاتبان نيف غُردُن وهو بروفسور محاضر في حقوق الإنسان وسياسات القانون الإنساني في «جامعة كوين ماري» في لندن ونيكولا بيروجيني وهو أستاذ محاضر في مادة العلاقات الدولية في «جامعة إدنبره»، إن هذه الظاهرة ليست جديدة بأي حال من الأحوال. فالكتاب يمنح مسألة الدروع البشرية جذور المصطلح ويعيد سرد تمظهرها في البشرية أيضاً بتواتر متزايد في السياقات غير القتالية مثل النضالات ضد الأسلحة النووية والاحتجاجات المدنية والبيئية، وأخيراً في ألعاب الكمبيوتر.

مع ذلك، يقول الكاتبان نيف غُردُن وهو بروفسور محاضر في حقوق الإنسان وسياسات القانون الإنساني في «جامعة كوين ماري» في لندن ونيكولا بيروجيني وهو أستاذ محاضر في مادة العلاقات الدولية في «جامعة إدنبره»، إن هذه الظاهرة ليست جديدة بأي حال من الأحوال. فالكتاب يمنح مسألة الدروع البشرية جذور المصطلح ويعيد سرد تمظهرها في البشرية أيضاً بتواتر متزايد في السياقات غير القتالية مثل النضالات ضد الأسلحة النووية والاحتجاجات المدنية والبيئية، وأخيراً في ألعاب الكمبيوتر.

* Human Shields: A History of People in the Line of Fire. University of California Press (2020). Extent: 486 pages + 36 illustrations. Neve Gordon and Nicola Perugini

ننهي عرضنا هذا بذكر عناوين فصول المؤلف: الحرب الأهلية: الحرب الإنسانية في الولايات المتحدة. غير النظاميين: الحرب الفرنسية الألمانية والاستخدام القانوني للبشر دروعاً. المستوطنون: حرب البوير الثانية وحدود الليبرالية الإنسانية. التقارير: الحرب العالمية الأولى والاستخدام الألماني للدروع البشرية. جيش السلام: السلم الدولي والدرع الطوعي في أثناء الحرب الصينية اليابانية. الشعار: الحرب الإيطالية الإثيوبية وتسهيلات الصليب الأحمر الطبية. تورمبرغ: الحماية البشرية النازية وغياب حماية المدنيين. القونغة: اتفاقيات جنيف والمدنيين السلبيين. حرب الشعب: تصوير المقاومة الفيتنامية على أنها درع بشري. البيئة: الدرع البشري الأخضر. المقاومة: النشاط المناهض للعسكرة في العراق وفلسطين. الجرائم الإنسانية: المحكمة الجنائية الدولية الخاصة بيوغسلافيا. الدليل: الكتيبات العسكرية أدوات لسن القوانين. مقياس: الحماية البشرية في سريلانكا ومبدأ التناسب. المستشفيات: استخدام المرافق الطبية دروعاً. القرب: مدنيون محاصرون في خضم الحرب على داعش. 17: حرب المعلومات: حروب غزة ووسائل التواصل الاجتماعي. حماية ما بعد البشر: حرب الطائرات المسيّرة وتقنيات المراقبة الجديدة. النساء والأطفال: الجنس والسلبية والدروع البشرية. مشهد: صور افتراضية تؤنسن الدروع أو تجردها من إنسانيتها. العاب الكمبيوتر: الدروع البشرية في حروب الفضاء الافتراضي. الاحتجاج: العصيان المدني عمل من أعمال الحرب.

بحث

اللاجئون شمّاعة لمصائب الآخرين

بعد كل هذه الحروب التي تجتاح مناطقنا وأوطاننا، صرنا نعرف هذه المشكلة: من السهل على الأمثلة اتهام آخرين بالتسبب في مشاكل البلاد: في الأردن وسوريا ولبنان وليبيا والعراق واليمن والبحرين... التهم جاهزة دوماً وكذلك كبش الفداء: الشيوعيون، اليعقوبيون، الفلسطينيون، السوريون، العراقيون، إيران، حزب الله، الشيعة العلويون... هذا نراه في العلاقات الدولية أيضاً: الاتحاد السوفياتي، كوبا، الصين، كوريا الشمالية، المسلمون... هدف إلقاء اللوم على الغير بدلاً من النظر في المرآة هو توجيه النظرة الناقدة بعيداً من المسؤولين عما تعانيه أوطاننا. فالنخب السياسية جاهزة دوماً لتلقف تلك الاتهامات واستثمارها، دوماً وفق الكاتبة الأميركية د. آن ماري بيلوني الباحثة في «كلية الخزيجين البحرية» الملحقة بالبحرية الأميركية، ما يعني أن بحثها «حين يؤدي اللوم إلى نتائج عكسية: اللاجئون السوريون ومظالم المواطنين في لبنان والأردن» يخدم أجندة الجهة التي تعمل معها إما مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة. مع ذلك ما يهمنا هنا محتوى المؤلف.

درست الكاتبة آثار استضافة أعداد ضخمة من اللاجئين السوريين في الأردن ولبنان، وكذلك رد فعل السكان تجاه الآثار السلبية الحقيقية والمتخيلة لبنان والأردن على استياء السكان في البلدين من ضغط الهجرة الجماعية التي قادت إلى تفاقم الأزمات هناك، وليس التسبب فيها. تعطي الكاتبة أمثلة عن كيفية تلقي النخب السياسية في الدولتين استياء السكان من تأثر الأوضاع المستجدة والتغيرات السكانية/ الديموغرافية ومحاولات النخب السياسية استغلال «رهاب الأجانب» هذا لمكاسب آنية.

إن إلقاء اللوم على الآخرين سياسة مربحة في كثير من الأحيان؛ (انظروا إلى ميانمار وأنغولا التي حظرت الدين الإسلامي وبنغلاديش وغيرها من الأمثلة – ز م)، لكن الكاتبة تكشف أن إلقاء المسؤولين واللسكان المتضررين في لبنان والأردن اللوم على السوريين، أدى إلى نتائج عكسية. فبدلاً من أن يصبح هؤلاء محط غضب بعض المواطنين، انتهى الأمر إلى إلقاء اللوم على السلطات في كلا البلدين. فالسكان المتضررون من تدفق المهاجرين والمهجّرين، أدركوا أن العديد من المشاكل التي يتم ربطها بهؤلاء هي في الواقع قائمة في حياتهم. فأزمة اللاجئين أدت إلى تفاقم الوضع المتردي بالفعل وليس خلقه، وبدأ الأردنيون واللبنانيون في الاحتجاج ليس فقط على وجود اللاجئين، لكن أيضاً على عدم كفاءة حكوماتهم وفسادها، دوماً وفق الكاتبة التي تضيف: «إن التحول الحاسم من لوم اللاجئين فقط إلى لوم الحكومات والمسؤولين والطبقة الحاكمة سببه تردي أوضاع الخدمات في البلدين نتيجة مباشرة لوصول اللاجئين السوريين»، بل إنها تقول: «يمتلك البلدان تاريخاً طويلاً من سوء توظيف المهاجرين والأقليات وانقسامات الهوية المحلية أكباش فداء سياسية، كما منعت سياسة «فرّق تسدّ» المواطنين الذين لا يتفقون مع الحكومات من توحيد صفوفهم هناك».

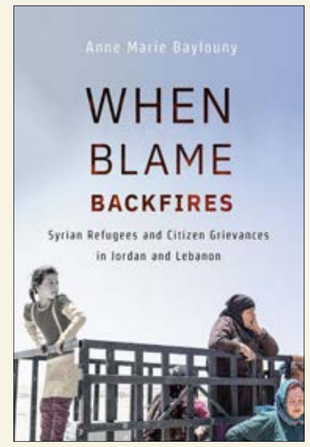

ألقى السياسيون والإعلام اللوم على اللاجئين السوريين في كل أنواع المشكلات

وتحدثت الكاتبة عن الأمور التي يثيرها مؤلفها وتساءلت: كيف سيتأقلم البلدان مع هذا الوضع؟ كيف ستتغير الديناميكية السياسية، وفهم السياسة بالمعنى الواسع الذي يشمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟ هل سيتبدل الإحساس بالهوية إزاء السكان الأجانب الجدد؟ كيف ستتفاعل السياسات النيوليبرالية لهذين البلدين مع مطالب جديدة بالسلع العامة والبنية التحتية؟ هل ستتمكن الحكومتان من تحويل اللوم الذي يقع عليهما بسبب المعاناة الاقتصادية إلى طرف آخر؟

إن اللوم هو سياسي بشكل مكثف واستُخدم غالباً لحرف الانتباه عن المشكلات الرئيسة أو لتبرئة النخب من المسؤولية وإفلاتها من الرقابة والعقاب. ويمكن أن يعني العجز عن تحديد اللوم أنه لا يوجد احتجاج مطلقاً في ظل غياب أحد لاستهدافه للقيام بالتغيير. وفي الحالتين اللتين لدينا، ألقى السياسيون والإعلام اللوم على اللاجئين السوريين في كل أنواع المشكلات، ومعظمها سابقة لتدفقهم المتزايد إلى البلدين.

عرضت الكاتبة آراءها وتحليلاتها العملية في خمسة فصول تأتي بعد المقدمة «كبش محرقة أم حلول؟» وهي: قبل الأزمة السورية؛ أدخلوا السوريين؛ من إخوة محتاجين إلى غرباء؛ التظلمات ضد الحوكمة، دفعوا نحو الحافة. ينتهي الكتاب بملخص لاستنتاجات الكاتبة: «اللاجئون وتغيير العلاقات بين الدولة والمواطنين».

* When Blame Backfires: Syrian Refugees and Citizen Grievances in Jordan and Lebanon. Cornell University Press 2020. Extent: 264 pages. Anne Marie Baylouny

سياسة

سوريا... مأساة دولة محوريّة

نادرة، إن لم تكن معدومة، المؤلفات الصادرة عن الحرب في سوريا وعليها، التي تتناول بالتحليل العلمي العاقل المأساة السورية وتبحث في جوانب الصراع كافة. وكذلك العوامل الداخلية والخارجية واللاعبين الرئيسين فيها. أو لنقل: إني لم أعثر على مؤلف يتناول المسألة علمياً وحيادياً مع أني قرأت عدداً من الكتابات العربية والإنكليزية والألمانية عنها.

«سوريا: مأساة دولة محورية» (بالغريف ماكميلان ـ 2020) مختلف، لكن إلى حد ما، عما نُشر، وهو بقلم دبلوماسي هندي مخضرم هو السفير ردندرا أبهيانكار الذي خدم سفيراً في عدد من الدول بما فيها سوريا. إذاً، الكاتب ممثل دبلوماسي لبلاده التي تتميز بعلاقات طيبة مع دمشق منذ استقلال الهند وبروز حركات الحياد ومنها مؤتمر باندونغ والقارات الثلاث وحركة عدم الانحياز، وسفارتها في دمشق بقيت مفتوحة، وسفيرها ودبلوماسيوها لم يغادروها، رغم أن دولاً غربية كثيرة أغلقت أبواب ممثلياتها في حاضرة الجمهورية العربية السورية.

آثار هذا المؤلف الجديد عن الأزمة السورية انتباه عدد من المراقبين والمحللين والهيئات والمؤسسات الفكرية من مختلف الاتجاهات، بمن فيهم «المجلس الروسي للعلاقات الدولية» المؤسَّس حديثاً، الذي يرأسه وزير خارجية روسيا الاتحادية بما يغني عن التعريف بعلاقته بمؤسسات صنع القرار في موسكو ومكانته فيها. فقد عقد المجلس الأنف الذكر ندوة عن المؤلف شارك فيها كل من اليكسي كليبنيكوف، الذي يعرّفه موقع المجلس في الإنترنت بكونه «خبير الشرق الأوسط ومحلل السياسة الخارجية الروسية، وحاصلاً على ماجستير في السياسة العامة العالمية من كلية هوبرت همفري للشؤون العامة في جامعة مينيسوتا الأميركية، وإيغور ماتفيف الذي يعرّفه موقع المجلس بأنه زميل باحث أول في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية ومحاضر في معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية التابع لوزارة خارجية الاتحاد الروسي، وخبير المجلس». اهتمام المؤسستين الفكريتين الروسيتين بالمؤلف أسهم في الاطلاع عليه وعرضه، نظراً إلى العلاقة الوثيقة التي تربط موسكو بدمشق منذ الخمسينيات، إضافة إلى دعمها القوي العسكري والسياسي للدولة السورية في حربها على الإرهاب الداخلي والخارجي المنشأ، المدعوم دولياً من حلف الناتو وأتباعه من الأعراب والمستعربين الجدد والتنظيمات المذهبية. لا ندري إن أثار هذا المؤلف اهتمام أفراد أو المؤسسات ذات الصلة في سوريا، وإن لم نعثر على أي إشارة إليه في ما اطلعنا عليه من إصدارات.

يستكشف هذا المؤلف كيف يمكن أن يتجذر السلوك غير المتسق أخلاقياً من قبل الكيانات الدولية في الطبقات الأخلاقية لصانعي القرار، وبؤرهم المتغيرة المرتكزة إلى مصالحهم الذاتية متجاهلين معايير السلوك الدولي الراسخة التي يعتمدون عليها. ويستكشف كذلك إلى أي مدى يمكن تشكيل مثل هذه القرارات أو تعديلها بوساطة عوامل سياقية تؤدي في النهاية إلى تفكيك النظام الدولي الحالي، ويحلل الجوانب المختلفة للوضع السوري ومحدداته وتنوعاته عبر العوامل الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية كمقدمة لاحتمال تكراره دولياً.

عرض الكاتب آراءه في سبعة فصول تأتي بعد المدخل والمقدمة والتحديث.

الفصل الأول: الصراع السوري اللامنتهي: تأثيراته الداخلية والتأثير الخارجي.

الفصل الثاني: لماذا سورية مهمة: مأساة دولة محورية.

الفصل الثالث: الصراع السوري وتداعياته

الفصل الرابع: هل واجب قبول التلفيقات دوماً؟

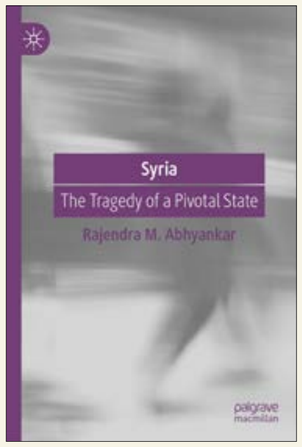

الكاتب ممثل دبلوماسي لبلاده التي تتميز بعلاقات طيبة مع دمشق منذ استقلال الهند

الفصل الخامس: دور القوى الإقليمية والدولية

الفصل السادس: الجهود الدولية نحو السلام: الوكالة والنتائج.

الفصل السابع: التطور المستقبلي في ضوء ما سبق.

هذا المؤلف مختلف عن غيره لكننا لا نتفق مع الكاتب في جوانب من تحليلاته لأنّ النظرة من داخل دائرة الصراع تختلف عن رديفها من الخارج. كما أنّنا في حيرة من امرنا بخصوص بعض الأمور فيه، منها مثلاً، غياب تعريف الكاتب لبعض المصطلحات التي استخدمها كـ «ثورة» وإن كان يعنيه بذلك المفهوم الغربي للكلمة، وهو أمر مكروه فيه، أو المفهوم الماركسي، وكذلك «الحرب الأهلية» التي تشير إلى انقسام عمودي، لا أفقي، في المجتمع ذي الصلة ومشاركة مكوّناته جميعها في الصراع المسلح على الجبهات كافة، كما حصل في الحرب الأهلية الإسبانية على سبيل المثال. كما أننا نختلف تماماً مع الكاتب بسبب توظيفه مقولة «الربيع العربي» وقوله: إن الوصف شعبي. وافتقدنا كذلك إلى تحليلات الكاتب لدور رفض النظام السوري الانخراط في التسويات الأميركية للصراع العربي الصهيوني، وكذلك موقفه الرافض للغزو الأميركي للعراق بل حتى دعم المقاومة العراقية ضد الاحتلال في اندلاع الأزمة، أو لنقل: على الأقل: تأجيجها.

* Syria: The Tragedy of a Pivotal State. Palgrave Macmillan (2020). Extent: xxxv, 318 pages. Ambassador Rajendra Abhyankar

أوراق

ثقب في الرأس

زكريا محمد *

منذ حوالى منتصف القرن التاسع عشر، بدأت الحفريات الأثرية تستخرج لنا جماجم مثقوبة الرأس. في البداية، لم يجر الاهتمام بهذه الظاهرة. لكن في عام 1860، عثر شخص أميركي يدعى ابراهام جورج سكوير Ephraim George Squier في منطقة كوزو في المكسيك على جمجمة فيها ثقب مربع. أثارت الجمجمة اهتمامه فأوصلها إلى أكاديمية نيويورك للطب، ثم إلى جراح فرنسي يدعى Paul Broca. وبعدما اختبر بوركا الجمجمة، حكم بأن الثقب يمثل العملية الجراحية التي تسمى: Cranial trepanation وتُترجم إلى العربية هكذا: «قطع القحف» أو «حجّ القحف»، وفيها يجري فتح ثقب في الجمجمة من أجل تخفيف الضغط على الدماغ سواء بعد التعرّض لصدمة على رأسه، أو إثر جلطة دماغية. بالتالي، وبناءً على رأي بوركا، فقد كان شعب الإنكا يمارس هذه العملية المعقدة قبل وصول الأوروبيين.

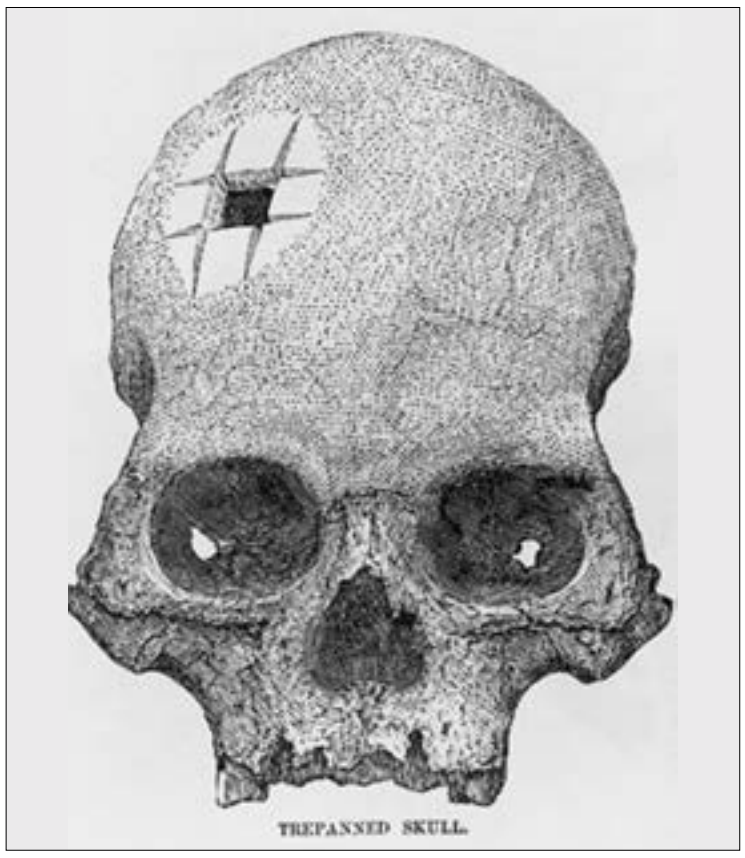

جمجمة كوزو المكسيكية

ثم حصلت اكتشافات لجماجم مثقبة في أماكن عديدة جداً في العالم، ما أظهر أن ممارسة هذه العملية عمّت العالم، أو أجزاء واسعة منه، بدءاً من العصر الحجري الحديث وحتى العصور الوسطى. وقد ظل اقتراح بروكا هو الفرضية المركزية حتى الآن. لكنّ تقييم بوركا في القرن التاسع عشر، بني على عدد محدود جداً من الجماجم المثقبة. لذا، فقد واجهت فرضيته مجموعة تحديات بعد الاكتشافات المتتابعة للمئات بل للألوف من الجماجم المثقبة.

أولاً: فقد اكتشف أنّ جزءاً من عمليات ثقب بعض الجماجم حدثت بعد الوفاة لا قبلها. وهذا يدحض فكرة الهدف العلاجي لتثقيب الجماجم.

ثانياً: اكتشاف عدد كبير من الجماجم فيها أكثر من ثقب، بل إن بعضها يحوي ثلاثة، أو سبعة، أو حتى عشرين ثقباً. ومن الصعب أن يكون هذا العدد ضرورياً لتخفيف الضغط على الدماغ. ولدينا من فلسطين جمجمة عثر عليها في ثلاثينيات القرن الماضي فيها ثلاثة ثقوب دائرية.

جمجمة اريحا

ثالثاً: كذلك، اكتُشفت جماجم عديدة فيها ثقوب غير نافذة. ومن الواضح أن مثل هذه الثقوب تضرب في الصميم النظرية العلاجية أيضاً. وخذ النموذج أدناه من البيرو.

وكما نرى، ففي هذا النموذج العشرات من الثقوب، من بينها 14 ثقباً غير نافذ، بعضُها قريب من بعض، وثقبان آخران بعيدان. ثم لدينا ثقب كبير نافذ على أطرافه 27 ثقباً نصف دائري أيضاً. أي أن لدينا ما مجموعه 47 ثقباً. ويستحيل أن تكون عملية فتح الجمجمة الطبية بحاجة إلى هذا العدد الكبير من الثقوب، أو أنها بحاجة إلى الثقوب غير النافذة. وقد سميت الثقوب غير النافذة «ثقوباً غير مكتملة»، أي أنها تمثيل تثقيب محبط أو فاشل. وكان هذا يمكن أن يفهم لو أن الأمر تعلق بثقب واحد. لكن أن نرى 14 ثقباً فاشلاً، أو غير مكتمل، فهذا يشير إلى أن فكرة «عدم الاكتمال» ذاتها مشكلة. فكيف يمكن لنا أن نقرر أن هذه الثقوب كان ينبغي أن تكون نافذة لكنها لسبب ما لم تكتمل، أي لم يجر تعميقها لتحرق عظم الجمجمة؟ وقد عثر في تل الدوير (مدينة لكيش الكنعانية القديمة) في فلسطين أيضاً على جمجمة تشبه جمجمة كوزو الأولى أيضاً.

جمجمة اريحا لليمين، وجمجمة كوزو لليسار

وقد جرى التركيز في جمجمة كوزو على الثقب المربع النافذ. لكن لم يكن هناك تفسير مناسب لحجم الخطوط. فلماذا على خطوط الثقب المربع أن تستطيل هكذا، وأن تصل إلى مساحة أبعد؟ فوق ذلك، فقد شكّلت هذه الخطوط ثماني خانات مفتوحة من جانب واحد. وإذا أضفنا المربع النافذ إليها، يكون لدينا تسع خانات. فما معنى هذه الخانات وما الهدف منها؟ أي ما معنى الرقم 8 والرقم 9 هنا؟

ثم لماذا تتموضع الثقوب في جمجمة أريحا التي فيها ثلاثة ثقوب هكذا: واحد كبير، واحد متوسط وواحد صغير؟ ولماذا تصطف الثقوب غير النافذة في جمجمة البيرو بهذا الشكل أيضاً؟ فهناك صف فيه 14 ثقباً، تحته صف فيه ثلاثة ثقوب، ثم هناك ثقبان بعيدان حول الدائرة الكبيرة. ولا توجد أجوبة على هذا. بذا فمن الواضح أن عملية قحف الجمجمة لا يمكن أن تفسر هذه النماذج. وحتى الفرضية التي تقول إن العملية كانت تُمارس كعملية سحرية- طبية تهدف إلى إخراج الشياطين والشرور لا يمكنها أن تفسر الثقوب غير النافذة، ولا تثقيب جماجم الموتى. وكل هذا يقتضي البحث عن تفسير أفضل أشمل.

ولديّ اقتراح في هذا الخصوص، وهو أن العملية الطبية التي تُسمى قحف الجمجمة (التربنة) لها علاقة بالجماجم ذات الثقب الواحد أساساً. وهي عملية استمرت في الوجود حتى العصور الوسطى. إنها تخص الثقب الواحد. ولعله يحدث نادراً أن تتم العملية بثقبين نتيجة عدم نجاح، أو عدم ملاءمة. أما الجماجم المثقبة بثلاثة ثقوب فما فوق، فليست ذات طبيعة طبية علاجية، بل ذات طبيعة دينية أساساً. وإذا صح هذا الفرض، فإنه لا يمكن معرفة الهدف الديني إلا عبر فهم أوسع لمعتقدات البشر منذ العصور الحجرية القديمة. فهذه المعتقدات هي التي يمكنها أن تفسر التشكيلات الغريبة للثقوب في الجماجم. لكنني، لا أود أن أعرض لهذا الآن في هذه المادة المختصرة، بل أنوي أن أترك القضية لكتابي القادم الذي أعمل عليه منذ أكثر من عقدين من الزمان، والذي يمكن أن سيكون اسمه: «سنة الحية: معتقدات وروزنامات العصور الحجرية». ففي هذا الكتاب سيكون هناك فصل عن تثقيب الجماجم.

* شاعر فلسطيني